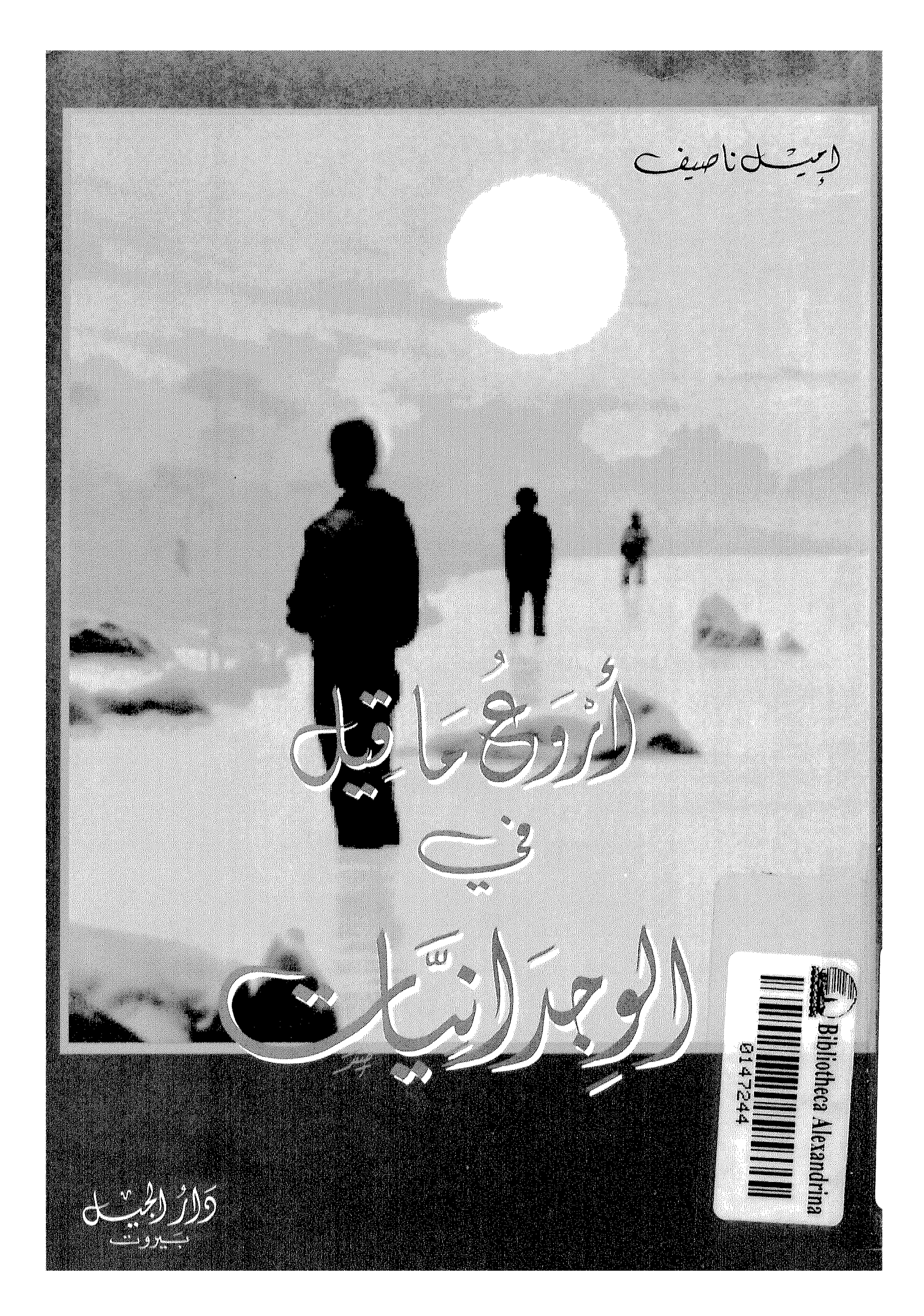

إميل ناصيف
أروع ما قيل في الوجدانيات
دار الجيل
بيروت
Bibliotheca Alexandrina
0147244



أروع ما قيل
في
الوجدانيات



أميل ناصيف

أروع ما قيل في الوجدانيات

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

المقدمة

هذا الكتاب حلقة من سلسلة «أروع ما قيل» التي زاد عدد حلقاتها حتى الآن على العشرين. ولعلّ هذا الكتاب من صفوة ما في هذه السلسلة، ذلك أنّ الشعر الوجدانيّ من صفوة الشعر الغنائيّ. إنّه ذلك النوع من الشعر الغنائيّ الذي تتوقّد فيه العاطفة، فيغدو الشعر مع هذا التوقّد شفّافًا صادقًا يدخل القلوب دون استئذان. وإذا كان كذلك، فهو، بلا شك، من أروع ما في بابه، إن لم يكن أروعه، وهكذا نجد الشعر الوجدانيّ في الغزل، والرثاء، والعتاب، والاعتذار، والشكوى، وغير ذلك.

وقد قسمتُ كتابي إلى سبعة أبواب مخصّصًا لكل عصر أدبيّ بابًا، ومقدّمًا للأعصر بباب صغير تكلمتُ فيه على الشعر الوجدانيّ، جاعلًا في كلّ باب ما وجدت أنّه أروع، أو من أروع ما قيل من شعر وجدانيّ فيه.

وأخيرًا أرجو أن يعجب هذا الكتاب القرّاءَ الأعزّاء كما أعجبهم باقي حلقات هذه السلسلة؛ والله وليّ التوفيق.

المؤلف



الباب الأوّل:

الشعر الوجدانيّ



لا بدّ قبل التعريف بالشعر الوجدانيّ، من التعريف بالشعر الغنائيّ، والوجدان، وذلك لأنّ الشعر الوجدانيّ نوع من الشعر الغنائيّ.

أمّا الشعر الغنائيّ، فقد جاء عنه في «المعجم الأدبيّ للدكتور المرحوم جبور عبد النور:

«١- اخْتلف القُدامى والمُحْدثون في تَحْديد الشّعْر الغِنائيّ. فانْطلق الفَريق الأَوّل من الشَّكْل الخارجيّ، وانْطلق الفَريق الثّاني من المَضْمون في التّعريف به. وذٰلك لأَنّ القُدامى كانوا يُغنّون الشّعْر، فيُرَتّبون أَبْياته بطَريقة تُيسّر لهم إنْشاده وتَرْتيله، في حين أَنّ المُحدثين نَظروا إِليه على أَنّه تَعْبير عن العاطفة الإنْسانيّة. ومَع ذٰلك فَقَد أَجْمعوا كُلّهم على أَنّ الشّعْر الغِنائيّ هو غِناء النَّفْس.

٢- يُعبّر هذا الشّعْر عن إِحْساسات متأتيّة من الدّاخل أَو من الخارج، لذٰلك اقْتضى أَنْ تكون للعواطف الفرديّة والجماعيّة صِفَة شاملة، لأَنّ المعبِّر أَو المؤَثِّر في فرديّة الشّاعر هو ما يتضمّن مَعْنى شاملاً، ويَنْبَعث في السّامع أَو القارىء شُعورًا بالاسْتِلْطاف، ويتجاوز إِحْساسات رَجل معيّن في فَتْرة زمنيّة عابرة فلا يمسّ مشاعر الإِنسانيّة. وبهٰذا يَتعارض في صَميمه مع الشّعْر المُبْهم.

٣- الشِّعْر الغنائيّ حَيٌّ، حارٌّ، مؤثِّر، مُباغت، يَشيع فيه التّفجُّر الدّاخليّ، والطّفرات اللّفظيّة، والبيانيّة والشّكليّة لأنّه في الأَساس انْفعال وإِثارة.

٤- يُعْنى بالمَوْضوعات الشّخصيّة والعامّة الّتي تَشْمل حياة الإِنْسان والعالمَيْن المَحْسوس وغير المحسوس اللّذين يَنْطلقان من الإِنْسان ويدوران حَوْله متّسعَيْن شَيْئًا فشيئًا لِيَشْملا قضايا الفَرْد، والأُسْرة، والوَطن، والإِنْسانيّة، والطّبيعة، والعالم، والله.

٥- إِذا أَحبّ الشّاعر الغِنائيّ وَصْف العالم لا يَكْتفي بالجانب المادّيّ وَحْدَه لأَنَّ عاطفته وطموحه يتجاوزان الإِحْساس بالواقع، بَلْ يَسْعى لبلوغ سرّ الأَسباب، ويُصبح شِعْره نوعًا من ٱرْتياد عوالم ما وراء الطّبيعة المُعَبَّرة عنها بالرُّسوم، والأَخْيلة، والإِيقاع».

وجاء في «المعجم المفصّل في اللغة والأدب»:

«هو الشعر الذي يعبّر الشّاعر فيه عن معاناته الشخصيّة، وتجاربه الذاتيّة، بوصفه إنسانًا يحيا ويفكّر ويحسّ ويتخيّل. وهو إذ يعبّر عن ذاته بالكلمة الجميلة والأسلوب المتفرّد الجذّاب، إنما يعبّر بالفعل عن الوسط الاجتماعيّ الذي ينتمي إليه، ويعيش في كنفه متحسّسًا همومه، مستشعرًا حاجاته وطموحاته، ملتزمًا قضاياه المصيريّة والحضارية، من حيث إنّ الشعر هو ضمير الأمّة، وقلب الإنسانية، ومن حيث إن الشاعر هو البصيرة الرّائية، وهو حادي الرّكب إلى الغد الأفضل، والوجود الأهنأ، وهو الدّليل الخبير في رحلة الحياة الشّاقّة، ودروبها الشائكة، وهو الواحة الظّليلة في هجير البحث عن الفردوس المفقود.

وكلّما أوغل الشّعر الغنائي في التعبير عن خصوصيّات الشّاعر

الحميمة، منكفئًا فيها إلى ما يختلج في داخل الذات من تأمُّلات، وانفعالات، وصبوات، كان أقرب إلى الشّعر الوجدانيّ. وكلّما اتّسع منظور الشّاعر الغنائيّ ليعبّر عمّا تثيره العوالم الخارجيّة، وحضور الآخرين في نفسه من ردودٍ ومشاعر، وتصوّرات، ابتعد عن الوجدانيّة الغنائيّة، ليقف عند حدود الغنائيّة، وهما مرتبتان داخل النّوع الشعريّ الواحد. وقد درج الباحثون على تقسيم الأنواع الشعريّة إلى شعر غنائيّ ووجدانيّ، وشعر قصصيّ وملحميّ، وشعر تمثيليّ، وشعر حكميّ وتعليميّ.

والشّعر الغنائيّ هو أكثر الأنواع رواجًا. ويكاد ديوان الشعر العربيّ أن يقتصر عليه وحده من دون سائر الأنواع الأدبيّة كافّة. وأغراضه هي الفخر، والوصف، والهجاء، والرثاء، والغزل، والزّهد، والاعتذار، والخمريّات، والطرديّات، وما إليها، ممّا لم يؤثّر مثله في الآداب العالميّة، كمًّا وكيفًا. وهي أغراض وموضوعات فرضها واقع الحياة العربيّة، وظروفها الاجتماعية والتاريخيّة. وقد كان لها ما يبرّرها ويدفع إليها دفعًا، واستطاع قدامى الشعراء العرب أن يرتقوا بها إلى الذُّرى الفنّيّة العالية. كما أن الشُّعراء المعاصرين والمحْدَثين ما يزالون، منذ فجر النهضة إلى اليوم، يواكبون مدّ التطوّر الصاعد، ويستجيبون في إبداعهم الغنائي، لمقتضيات هذا التطوُّر، مضمونًا وشكلاً، بل إن طلائعهم تستشرف آفاقه، وترسم معالم الطّريق بمنجزات تتجاوز الموروث، وترسّخ أصول المعاصرة والحداثة».

أمّا الوجدان فهو «حالات نفسيّة من حيث تأثّرها باللذّة أو الألم، غير مؤدّية إلى المعرفة في مقابل عمليّات التصوّر والتفكير»، أو هو «الانفعالات والعواطف والأهواء»، أو هو «النفس وقواها الباطنة».

وأمّا الشعر الوجدانيّ فهو عند ابن طباطبا في كتابه «عيار الشعر»:

«الشعر الذي يحكي ما في نفس السامع، ويحسن التعبير عنه، فيبتهج لذكر ما قد عرفه طبعه، وقَبِله فهمه، فيُثار بذلك ما كان دفينًا، ويبرز به ما كان مكنونًا، فينكشف للفهم غطاؤه، فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نِشدانه». أو «هو الشعر الغنائيّ، إلّا أنّ الشاعر يعبِّر فيه عمّا يختلج في ذات نفسه، وفي دواخلها الحميمة، وليس نتيجة مؤثّرات خارجيّة».

والشعر الوجدانيّ هو الشعر الغنائيّ الذي نلاحظ فيه شدّة المعاناة، وجيشان العواطف، وصدق التجربة، بعيدًا عن التستّر والمداجاة، أو التكتّم والمراوغة، كلّ ذلك بشفافيّة صادقة، واعتراف قلب، وبوح نفس، بشكل عفويّ تلقائيّ، كما تفوح الزهرة الأرجة بعطرها، وكما يغني الطائر الغرِد على أفنان الشجر.

ومن أهمّ دوافع هذا النوع من الشعر الغنائيّ هو الألم، والمعاناة، ومرارة التجربة، مِمّا يحمل الشاعر على البوح بما في نفسه من شعور بالألم، أو الوحدة، أو الحبّ، أو غير ذلك من العواطف الصادقة التي تُلهب القلب، وترقّق الحسّ، وتصفّي الذات.

«وهكذا فالشعر الوجدانيّ ينطلق من قلب الشاعر ليتوجّه إلى قلبه، موحّدًا بين الذات والموضوع، محوّلًا الشاعر إلى النبع والمصبّ في آن معًا. في حين نجد الأغراض الغنائيّة الأخرى تنبع من قلب الشاعر لتنسكب في ذوات الآخرين (فالمدح يحمل عاطفة الشاعر إلى ممدوح، والهجاء إلى مهجوّ، والغزل إلى حبيب...). من هنا القول: إنّ كلّ شعر وجدانيّ هو شعر غنائيّ لسيطرة العاطفة عليه، وليس كلّ شعر غنائيّ وجدانيًا.

والشعر الغنائيّ يقع من الشعر العربيّ بمنزلة القلادة في الجيد حاملًا معه حرارة الانفعال والتأثير. ولطالما كنّا نراه يلتمع هنا ويومض هناك في

تضاعيف القصائد. ومن أربابه، في الأدب العربي القديم، نذكر أبا فراس الحمدانيّ، والمعتمد بن عباد. وقد أكمل هذا الشعر رحلته في الأدب الحديث، فرأيناه واسع الانتشار في أدب المهجر والاغتراب».

* * *



الباب الثاني:

من الشعر الوجدانيّ
في العصر الجاهليّ



المهلهِل

هو عديّ بن ربيعة التغلبيّ، وخال الشاعر امرىء القيس، لُقّب بالزِّير لكثرة مجالسته النساء. كان يقضي أيّامه في اللهو وشرب الخمر. وكان له أخ اسمه وائل، ولقبه كليب، وامرأته جليلة بنت مرّة الشّيباني من بكر، وكان لمرّة عشرة بنين أصغرهم جسّاس. وحدث يومًا أن نزلت خالة جسّاس، واسمها البسوس، على جسّاس، فرمى كليب ناقتها وفصيلها بقوسه، فقتل الفصيل، وراحت الناقة تعجّ. فلمّا رأتها البسوس صاحت: «وا ذلّاه». فقال لها جسّاس: «اسكتي، فلكِ بناقتكِ ناقةٌ أعظم منها». فأبت إلّا رأس كليب. فقتل جسّاس كليبًا. وهبّ المهلهل يطلب ثأر أخيه. ونشبت الحرب بين بكر وتغلب، فدامت أربعين سنة ودُعيت حرب البسوس. وقد أبدى المهلهل في تلك الحرب شجاعة نادرة، وأُسِر في آخر الأمر، ومات في أسره سنة ٥٣١م.

للمهلهل ديوان شعر أهمّ ما فيه رثاؤه لأخيه كليب. ورثاؤه مزيج من دمع وحرب، من عاطفة رقّة تنبعث من قلب محبّ، وعاطفة خشونة تنبعث من حالة البراءة والفطرة.

* * *

رثاء كليب

أهاجَ قَذاةَ عَيْنِيَ الاذِّكارُ   هُدُوءًا فالدُّمُوعُ لها انحِدارُ(١)

وصارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا   كأنَّ اللَّيْلَ ليس لَهُ نَهَارُ

وبِتُّ أُرَاقِبُ الجَوْزَاءَ حَتَّى   تَقَارَبَ مِنْ أَوائلِها انْحِدارُ(٢)

أُصَرِّفُ مُقْلَتِي في إثْرِ قَوْمٍ   تَبَايَنَتِ البِلادُ بِهِمْ فَغَارُوا

وَأَبْكِي والنُّجومُ مُطَلَّعَاتٌ   كأَنْ لَمْ تَحْوِها عَنّي البِحَارُ

على مَنْ لو نُعِيتُ وكان حَيًّا   لَقَادَ الخَيْلَ يَحْجُبُها الغُبَارُ

دَعَوْتُكَ يا كُلَيْبُ فَلَمْ تُجِبْنِي   وَكَيْفَ يُجِيبُنِي البَلَدُ القِفَارُ

أجِبْني يا كُلَيْبُ خَلاكَ ذَمٌّ   ضَنِيناتُ النُّفُوسِ لها مَزَارُ

أَجِبْني يا كُلَيْبُ خَلاكَ ذَمٌّ   لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِها نِزَارُ

سَقَاكَ الغَيْثُ إنّكَ كُنْتَ غَيْثًا   وَيُسْرًا حينَ يُلْتَمَسُ اليَسارُ

أَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أنْ تَكُفَّا   كأنَّ غَضَى القَتَادِ لها شِفَارُ(٣)

وإنّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجالٍ   وَتَعْفُو عَنْهُمُ ولكَ اقْتِدَارُ

* * *

---

(١) القذاة: ما يخرج من العين الرمداء. هدوءًا: في هدأة الليل وسكونه.

(٢) الجوزاء: برج في السماء.

(٣) الغَضَى: نوع من الشجر. القتاد: الشوك. الشفار: منابت أهداب العين.

الخنساء

هي أم عمرٍو بنت عمرو بن الشّريد السّلميّة الملقّبة بالخنساء. ولدت نحو سنة ٥٧٥م، ونشأت في بيت ثروة وجاه. وكان لها أَخَوان: معاوية وصخر، وكان صخر يعطف عليها بنوع خاصّ، فقُتِلا كلاهما. وكان لمقتلهما صدى بعيد في نفسها، فبكت حتّى تقرّحت مقلتاها، بل حتّى عميت، وذاب قلبها التياعًا، ورثتهما بشعر رقيق، وخَصّت صخرًا بالقسم الأكبر منه. وقد أدركت الإسلام فاعتنقته مع بنيها، وتُوفّيت سنة ٦٦٤م.

لها ديوان شعر كلّه في رثاء أخويها، ولا سيّما صخر، يشعر من يقرأه أنّه في مأتم يسمع فيه عويل النائحات، وندب النادبات. هو ديوان امرأة أُصيبت في الصميم، وفقدت من تُحبّ ومن كان للحرب سيفًا بتّارًا، وللمجالس سيّدًا مختارًا، وللقرى والضّيافة نحّارًا، وللنجدة فارسًا مغوارًا. وهي، في رثائها، تتمثّل أبدًا أخاها وتخاطبه. وتصوّره بحبّ أخويّ صادق، وتبكي ولا تملّ من مخاطبة العينين تسألهما الدمع، والعينان تجيبان، وإذا الدمع نار في هشيم، وإذا اللوعة أبدًا في ازدياد. وفيما يلي بعض النماذج من رثائها.

* * *

رثاء صخر

يُؤَرِّقُني ٱلتَّذَكُّرُ حِينَ أُمْسِي فَأُصْبِحُ قَدْ بُلِيتُ بِفَرْطِ نُكْسِ
عَلَى صَخْرٍ، وَأَيُّ فَتًى كَصَخْرٍ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَطِعَانِ خَلْسِ؟[1]
فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لِجِنٍّ، وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ رُزْءًا لإِنْسِ[2]
يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ ٱلشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ ٱلْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ، لَقَتَلْتُ نَفْسِي!
وَلَكِنْ لَا أَزَالُ أَرَى عَجُولًا وَبَاكِيَةً تَنُوحُ لِيَوْمِ نَحْسِ[3]
أَرَاهَا وَالِهًا تَبْكِي أَخَاهَا عَشِيَّةَ رُزْئِهِ، أَوْ غِبَّ أَمْسِ
وَمَا يَبْكِينَ مِثْلَ أَخِي، وَلَكِنْ أُعَزِّي ٱلنَّفْسَ عَنْهُ بِٱلتَّأَسِّي[4]
فَلَا، وَٱللهِ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى أُفَارِقَ مُهْجَتِي وَيُشَقَّ رَمْسِي
فَيَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَلَهْفَ أُمِّي أَيُصْبِحُ فِي ٱلضَّرِيحِ وَفِيهِ يُمْسِي!

* * *

قذًى بعينك

قَذًى بِعَيْنِكَ أَمْ بِٱلْعَيْنِ عُوَّارُ أَمْ ذَرَّفَتْ أَنْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا ٱلدَّارُ؟[5]
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ، إِذَا خَطَرَتْ فَيْضٌ يَسِيلُ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ، مِدْرَارُ

---

(١) طعان خلس: طعان فيه إعجال وشجاعة وحذر.

(٢) الرزء: المصيبة.

(٣) العجول: الثكلى الشديدة الحزن من النساء.

(٤) التأسّي: التصبر.

(٥) العوار: رمد العين. أن خلت: أي لأن خلت.

تَبْكِي لِصَخْرٍ، هِيَ ٱلْعَبْرَى، وَقَدْ وَلِهَتْ وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ ٱلتُّرْبِ أَسْتَارُ[1]

تَبْكِي خُنَاسٌ، فَمَا تَنْفَكُّ، مَا عَمَرَتْ، لَهَا عَلَيْهِ رَنِينٌ، وَهْيَ مِفْتَارُ[2]

تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ، وَحَقٌّ لَهَا، إِذْ رَابَهَا ٱلدَّهْرُ إِنَّ ٱلدَّهْرَ ضَرَّارُ

لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غِيَرٌ وَٱلدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ[3]

* * *

ما بال عينك

مَا بَالُ عَيْنِكِ مِنْهَا دَمْعُهَا سَرِبُ أَرَاعَهَا حُزْنٌ أَمْ عَادَهَا طَرَبُ

أَمْ ذِكْرُ صَخْرٍ بُعَيْدَ النَّوْمِ هَيَّجَهَا فَالدَّمْعُ مِنْهَا عَلَيْهِ الدَّهْرَ ينسكبُ

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ إِذَا رَكِبَتْ خَيْلٌ لِخَيْلٍ تُنَادِي ثُمَّ تَضْطَرِبُ

قَدْ كَانَ حِصْنًا شَدِيدَ ٱلرُّكْنِ مُمْتَنِعًا لَيْثًا إِذَا نَزَلَ الْفِتْيَانُ أَوْ رَكِبُوا

كَمْ مِنْ ضَرَائِك هُلَّاكٍ وَأَرْمَلَةٍ حَلُّوا لَدَيْكَ فَزَالَتْ عَنْهُمُ الْكُرَبُ

سَقْيًا لِقَبْرِكَ مِنْ قَبْرٍ وَلَا بَرِحَت جَوْدُ الرَّوَاعِدِ تَسْقِيهِ وَتَحْتَلِبُ[4]

ماذا تَضَمَّنَ مِنْ جُودٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ خَلَائِقَ ما فِيهِنَّ مُقْتَضَبُ

* * *

هريقي من دموعكِ

هَريقي من دُموعِكِ أوْ أفيقي وصبرًا، إنْ أطَقْتِ، ولن تُطيقي[5]

وقولي إنَّ خَيرَ بني سُلَيْمٍ وفارِسُهُمْ بصحراءِ العَقيقِ

---

(١) العبرى: التي لا تجف دموعها. ولهت: اشتدّ جزعها. الأستار: طبقات التراب فوق الميت.

(٢) خُناس: الخنساء. المفتار: المنكسرة.

(٣) في صرفها: في حدوثها وتصرفها. غير الدهر: نوائبه. الحول: التحول.

(٤) جود الرواعد: الأمطار.

(٥) هريقي: أريقي، صُبّي.

وإنّي والبُكا من بَعدِ صخرٍ كسالِكَةٍ سوى قصْدِ الطّريقِ
فلا وأبيكَ ما سلَّيْتُ صدري بفاحشةٍ أتيْتَ ولا عقوقِ[1]
ولكنّي وَجَدْتُ الصّبْرَ خيرًا من النّعلينِ والرّأس الحليقِ[2]
ألا هل تَرْجِعَنْ لنا اللّيالي وأيّامٌ لنا بِلِوَى الشّقيقِ[3]
ألا يا لَهْفَ نفسي بعد عيشٍ لنا بندى المُخَتّمِ والمَضيقِ[4]
وإذْ يتحاكَمُ السّاداتُ طُرًّا إلى أبياتِنا وذوو الحقوقِ
وإذْ فينا فوارِسُ كلِّ هَيْجَا إذا فَزِعوا وفتيانُ الخروقِ[5]
إذا ما الحرْبُ صَلْصَلَ ناجِذاها وفاجأها الكُماةُ لَدَى البُرُوقِ[6]
وإذْ فينا مُعاويةُ بن عَمْرٍو على أذماءَ كالجَمَلِ الفنيقِ[7]
فَبَكِّيهِ فقد وَلّى حميدًا أصيلَ الرّأي محمود الصّديقِ
هو الرّزْءُ المبيِّنُ لا كُبَاسٌ، عظيمُ الرّأي يحلُمُ بالنّعيقِ[8]

* * *

---

(١) أرادت أنها لا تجد في كل ما أتاه فاحشة ولا عقوقاً، فتسلو نفسها عنه.

(٢) تعتذر في هذا البيت عن صبرها، وتقول إنها وجدت الصبر خيراً من أن تحلق رأسها وتضربه بنعلين فتعفره، فعل الجاهليات إذا فقدن كريماً.

(٣) لوى الشقيق: موضع.

(٤) المختم والمضيق: موضعان.

(٥) الخروق، واحدها الخرق: القفر تتخرقه الرياح.

(٦) صلصل: صَوّتَ. ناجذاها، واحدها ناجذ: أقصى الأضراس.

(٧) الفنيق: الفحل المكرم.

(٨) يقال: رجل كباس، للذي يدخل رأسه بثوبه أو للذي إذا سألته حاجة كبس برأسه في جيب قميصه، وأرادت انه كريم غير بخيل.

قلب غير مهتضم

يا عينُ فِيضي بدَمْعٍ منكِ مِغْزارِ ... وابكي لِصَخْرٍ بدمْعٍ منكِ مِدرارِ[١]

إنّي أرقْتُ فبتُّ اللّيْلَ ساهِرَةً ... كأنّما كُحِلَتْ عَيْني بعُوّارِ[٢]

أرْعَى النّجومَ وما كلِّفتُ رِعْيَتَها ... وتارةً أتَغَشّى فضْلَ أطماري[٣]

وقدْ سَمعْتُ فلمْ أبْجَحْ به خبرًا ... مخبّرًا قامَ يَنمي رَجْعَ أخبارِ[٤]

قال: ابْنُ أمّكِ ثاوٍ بالضريحِ وقدْ ... سَوّوْا علَيْهِ بألواحٍ وأحجارِ

فاذهَبْ فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ من رَجلٍ ... مَنّاعِ ضَيْمٍ وطَلّابٍ بأوْتارِ[٥]

قد كنتَ تحمِلُ قلبًا غير مُهتَضَمٍ، ... مركّبًا في نصابٍ غيرِ خوّارِ[٦]

مثلَ السّنانِ تُضيءُ اللّيلَ صورَتُهُ ... جَلْدُ المَريرَةِ حُرٌّ وابنُ أحرارِ[٧]

أبكي فتى الحَيّ نالَتْهُ منيّتُهُ ... وكلُّ نَفْسٍ إلى وَقْتٍ ومِقْدارِ

وسَوفَ أبكيكَ ما ناحَتْ مطَوَّقَةٌ ... وما أضاءَتْ نجومُ اللّيلِ للسّاري

* * *

---

(١) المغزار: الكثير.

(٢) العوار: القذى.

(٣) أتغشى: أتغطى. الأطمار، واحدها طمر: الثياب الرثّة.

(٤) أبْجَحْ: أفرح. ينمي إليه حديثًا: يرفعه.

(٥) الأوتار، واحدها وتر: الثأر.

(٦) النصاب: الأصل. الخوار: الضعيف.

(٧) الجلد: الشديد القوي. المريرة: عزة النفس والعزيمة.

قسّ بن ساعدة

هو قسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهليّة (٠٠٠ - نحو ٢٣ ق. هـ/ نحو ٦٠٠م). كان أسقف نجران، ويقال: إنّه أوّل عربيّ خطب متوكّئًا على سيف أو عصا، وأوّل من قال في كلامه: «أما بعد». وكان يفِد على قيصر الروم زائرًا، فيكرمه ويعظمه، وهو معدود في المعمّرين، طالت حياته وأدركه النبيّ (ﷺ) قبل النبوّة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يُحشر أمة وحده[1].

ورُوي في قصّة القصيدة التالية أنّ رجلاً قال للرسول (ﷺ): يا رسول الله: لقد رأيت من قسّ عجبًا. قال: وما رأيت؟ قال: بينا أنا بجبل يقال له سِمعان في يوم شديد الحرّ، إذا أنا بقس بن ساعدة تحت ظلّ شجرة عند عين ماء، وعنده سباع، كلّما زأر سبعٌ منها على صاحبه ضربه بيده وقال: كُفَّ حتى يشرب الذي ورد قبلك. قال: فخفت. فقال: لا تخفْ. وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد، فقلت له: ما هذان القبران؟ قال: هذان قبرا أخوَين كانا لي، فماتا، فاتّخذتُ بينهما مسجدًا أعبد الله جلّ وعزّ فيه حتى ألحق بهما ثم ذكر أيّامهما فبكى، ثم أنشأ يقول:

خليليَّ هُبّا طالما قد رَقَدْتُما   أجِدَّكما لا تقضيان كَراكُما

(١) الزركلي: الأعلام ١٩٦/٥.

أَلَمْ تَعْلَما ما لي براوندَ هذه ... ولا بخزاقٍ من نديم سواكما[١]

أُقيمُ على قبرَيْكما لستُ بارحًا ... طوالَ الليالي أو يجيبَ صداكما[٢]

جرى الموتُ مجرى اللحمِ والعظمِ منكما ... كأنَّ الذي يسقي العقارَ سقاكما

تحمَّل من يَهوي القفولَ وغادروا ... أخًا لكما أشجاه ما قد شجاكما[٣]

فأيُّ أخٍ يجفُو أخًا بعد موتِه ... فلستُ الذي مِنْ بعد موتٍ جفاكما

أصبُّ على قبرَيْكما من مُدامةٍ ... فإلّا تَنالاها تُرَوِّ ثراكما[٤]

كأنّكما والموتُ أقربُ غايةٍ ... بجسميَ في قبرَيْكُما قد أتاكما

أناديكما كيما تُجيبا وتنطِقا ... وليس مجابًا صوتُه مَنْ دعاكما

أَمِنْ طولِ نومٍ لا تجيبانِ داعيًا ... خليليَّ ما هذا الذي قد دهاكما[٥]

قضيتُ بأنّي لا محالةَ هالكٌ ... وأنّي سيعروني الذي قد عراكما

فلَوْ جُعلَتْ نفسٌ لنفسٍ وقايةً ... لجدتُ بنفسي أن تكونَ فداكما

سأبكيكما طول الحياةِ وما الذي ... يردُّ على ذي عَوْلَةٍ إنْ بكاكما[٦]

* * *

وهناك روايات أخرى في مناسبة هذه القصيدة منها: قال عيسى بن قدامة الأسدي، وكان قدم قاسان (مدينة على حدود الترك)، وكان له نديمان فماتا، وكان يجيء فيجلس عند القبرين، وهما براوند في موضع يقال له خزاق، فيشرب ويصبّ على القبرين حتى يقضي وطره، ثم ينصرف

---

(١) راوند: بلدة قرب أصفهان. خزاق: اسم موضع.
(٢) أقيم: أبقى. بارحًا: مغادرًا.
(٣) القفول: العودة.
(٤) الثرى: التراب.
(٥) دهاكما: أصابكما.
(٦) العولة: حرارة الحزن.

وينشد وهو يشرب (القصيدة).

وقيل أيضًا: إنّ ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجّهه الحجّاج إلى الديلم، وكانوا يتنادمون لا يخالطون غيرهم، وبينا هم على ذلك مات أحدهم فدفنه صاحباه، وكانا يشربان عند قبره، فإذا بلغه الكأس (أي على الذي مات) صَبّاها على قبره وبكيا. ثم إنّ الثاني مات، فدفنه الباقي إلى جنب صاحبه، وكان يجلس عند قبريهما، فيشرب ويصبّ الكأس على الذي يليه، ثم على الآخر ويبكي. وقال (القصيدة).

* * *

الباب الثالث:

من الشعر الوجدانيّ
في عصر صدر الإسلام



حطان بن المعلّى

فتّشنا كثيرًا عن ترجمة لهذا الشاعر العربي الإسلاميّ، فلم نقع على شيء من ترجمته، سوى قول خير الدين الزركي في كتابه «الأعلام»، الجزء الثاني، ص ٢٣٦: «حطان بن المعلّى شاعر إسلاميّ. اشتهر بقصيدة له، منها:

وإنّـمـا أولادنـا حـولـنـا أكبادنا تمشي على الأرضِ
إنْ هبَّتِ الريح على بعضهم تمتنع العين من الغمضِ

«وهي في ديوان الحماسة». والواقع أنَّ القصيدة المشار إليها تقع في سبعة أبيات. وقد أثبتها أبو تمام في كتابه «الحماسة»، كما أثبتها كلٌّ من الخطيب التبريزي، والمرزوقي في كتابه «شرح ديوان الحماسة». وفيما يلي هذه القصيدة:

* * *

لولا بُنيّات

أنـزَلَني الـدهرُ عـلى حُكْمِه من شامخٍ عالٍ إلى خفضِ
وغالَني الـدهر بوفْر الـغنى فليس لي مالٌ سوى عِرْضِي[1]

(١) غالني الدهر: أخذه من حيث لا يدري.

أبكانيَ الدهرُ ويا رُبَّما أَضْحَكَني الدهرُ بما يُرضي
لولا بُنَيّاتٌ كَزُغْبِ القطا يَرْدُدْنَ من بعضٍ إلى بعضِ[1]
لكانَ لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ في الأرضِ ذات الطولِ والعرضِ
وإنّما أولادُنا بينَنا أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هَبَّتِ الريحُ على بَعْضِهِمْ لامْتَنَعَتْ عَيْني عنِ الغمضِ

* * *

(١) الزغب: صغار الريش. القطا: نوع من الطيور.

متمّم بن نويرة

هو متمم بن نويرة بن جمرة اليربوعي التميميّ (٠٠٠ - نحو ٣٠هـ/ نحو ٦٥٠م) شاعر فحل، صحابيّ، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام. قُتِل أخوه مالك في حرب الرّدّة، فرثاه رثاءً حارًا، وظلّ يبكيه حتّى ابيضّت عيناه من الحزن، وحتّى أسخط عمر بن الخطاب على ما كان من قتل خالد بن الوليد له، وصار ندبه لأخيه مصيرَ الأمثال، ومن بديع قوله فيه:

هذا كلّه قبرُ مالك

لَقَدْ لامَني عِنْدَ القُبورِ على البُكا ... صَديقي لِتَذْرافِ الدّموعِ السَّوافِكِ

يَقولُ: أَتَبْكي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ ... لِقَبْرٍ ثَوَى بينَ اللِّوى فالدَّكادِكِ

فقُلْتُ لَهُ: إنَّ الشَّجَى يَبْعَثُ الشَّجَى ... فَدعْني، فَهَذا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ

* * *

وكنّا كندماني جذيمة

أَبَى الصَّبْرَ آياتٌ أَراها وَإِنَّني ... أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعا[1]

وَإِنّي مَتَى ما أَدْعُ باسْمِكَ لا تُجِبْ ... وَكنتَ حَرِيًّا أَنْ تُجيبَ وَتَسْمَعَا

(١) أقطع: مقطوع.

تَحيَّتُهُ مِنّي وَإِنْ كان نائيًا ... وَأَمْسَى تُرابًا فوقَهُ الأَرْضُ بَلْقَعا[1]

فإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنا ... فَقَدْ بانَ مَحْمُودًا أَخي حِينَ وَدَّعا[2]

وكُنّا كَنَدْمانَيْ جَذيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قيلَ: لَنْ يَتَصَدَّعا[3]

فَلَمَّا تَفَرَّقْنا كَأَنّي ومالِكًا ... لِطُولِ اجْتِماعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً معا

ولو أنّ ما أَلْقَى أصاب مُتالِعًا ... أَوِ الرُّكْنَ مِنْ سَلْمَى إِذَنْ لَتَضَعْضَعَا[4]

* * *

(١) بلقع: أرض قفر.

(٢) بان: فارق.

(٣) جذيمة هو جذيمة الأبرش نادَمَ مالكًا وعقيلاً ابني فارج بن كعب ثمّ قتلهما. يتصدّعا: يتفرّقا.

(٤) متالع وسلمى: جبلان.

الباب الرابع:

من الشعر الوجدانيّ
في العصر الأمويّ



جميل بثينة

هو جميل بن عبد الله بن معمر من قبيلة عذرة المشهورة بالجمال والعشق، والنازلة في وادي القرى[1]. وُلد في أغلب الظنّ في أواخر خلافة عثمان بن عفّان، في بيت عزّ وجاه. ولع بحبّ قريبة له تدعى «بثينة»، فنُسب إليها، فعُرف بـ«جميل بثينة». تعلّق بها إثر حادثة ذكرها في شعره وهي أنّه أقبل يومًا بإبله حتى أوردها وادي بغيض، واضطجع. وأقبلت بثينة ومرت على فصال[2] له، فنفّرتها، فسبّها جميل، فبادلته السباب. فكان هذا السباب بداية حبّ جارف، وفي ذلك يقول:

وأوّلُ ما قادَ المودّةَ بيننا ... بوادي بغيضٍ يا بُثَيْنَ سبابُ
فقلنا لها قولًا فجاءتْ بمثلِهِ ... لكلّ خطابٍ يا بُثَيْنَ جوابُ

ولمّا جاء يخطبها إلى أبيها، صدّه، لأنّه شبّب بها، على عادة أهل زمانه، فزوّجها برجل آخر. فكانت الصدمة عنيفة جدًّا في نفسه، وازداد ولعه بها، فلامه أبوه ولكنه لم يرتدع، بل ظلّ يذكرها في شعره ويتردّد إلى بيتها خفية.

شكاه أهلها إلى مروان بن الحكم والي المدينة إذ ذاك، فأهدر دمه.

(١) هو واد في الحجاز على الطريق بين الشام والمدينة. سمي بـ«وادي القرى» لكثرة القرى المنتشرة فيه.

(٢) الفصال: ج الفصيل، وهو ولد الناقة وقد فصل عن أمّه.

وهرب جميل إلى الشام فمصر حيث توفي سنة ٨٢هـ/ ٧٠١م.

* * *

لقد فرح الواشون

لَقَدْ فَرِحَ الواشون أنْ صرمَتْ حَبْلي ... بثينةُ أو أبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ[(١)]

يَقُولُونَ: مَهْلاً يا جميلُ وإنّني ... لأُقْسِمُ ما لي عن بُثَيْنَةَ مِنْ مَهْلِ

أَحِلْمًا؟! فَقَبْلَ اليومِ كان أوانُهُ ... أَمَ أخْشَى فقبلَ اليومِ أُوعِدْتُ بالقَتْلِ[(٢)]

وَلَوْ تَرَكتْ عَقْلي معي ما طَلَبْتُها ... ولكنْ طلابيها لِمَا فاتَ مِنْ عَقْلِي[(٣)]

إذا ما تَراجَعْنا الذي كان بَيْنَنا ... جرى الدمعُ منْ عَيْنَيْ بُثَيْنَةَ بالكُحْلِ[(٤)]

كِلانا بَكَى أو كادَ يَبْكي صَبَابةً ... إلى إلْفِهِ واسْتَعْجَلَتْ عَبْرَةٌ قَبْلي[(٥)]

فَيَا وَيْحَ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الذي بها ... ويا وَيْحَ أهلي ما أُصِيبَ به أهلي[(٦)]

أُرانـيَ لا أَلْـقـى بُـثَـيْـنَـةَ مَـرَّةً ... من الدهر إلّا خائفًا أو على رَحْلِ[(٧)]

خَلِيلَيَّ فيما عُشْتُما هَلْ رَأَيْتُما ... قتيلاً بَكَى من حبّ قاتله قبلي؟![(٨)]

فإنْ وُجدَتْ نَعْلٌ بأرضٍ مُضِلَّةٍ ... من الأرضِ يومًا فاعلمي أنّها نعلي[(٩)]

أبيتُ مع الهلّاكِ ضيفًا لأهلها ... وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذَوُو فَضْلِ[(١٠)]

---

(١) الواشون: ج الواشي، وهو النمّام المفسد. صرمت: قطعت. حبلي: حبّي.

(٢) أحلمًا: أعقلًا. أوعدت: هُدّدت. وهنا إشارة إلى إهدار دمه من قبل الوالي.

(٣) طلابيها: أي طلبي بثينة.

(٤) تراجعنا: تداولنا.

(٥) الصبابة: الحبّ، العبرة: الدمعة.

(٦) يا ويح نفسي: أي يا لمصيبتي!

(٧) الرحل: ما يجعل على ظهر الناقة، أو السرج للجواد، وهنا بمعنى السفر.

(٨) خليليّ: صديقيّ. ومخاطبة المثنى تقليد للشعراء الجاهليين.

(٩) مضلّة: يضلّ السائر فيها.

(١٠) أبيت: أنام. الهلّاك: الفقراء أو الصعاليك. موسعون: أثرياء.

داعي الحبّ

عاوَدْتُ من جُمْلٍ قدِيمَ صَبَابتي وأخفَيْتُ من وَجْدي الذي كان خافيا[1]

وردّ الهوى أَثْنانُ حتّى استفزّني من الحبّ معطوف الهوى من بلاديا[2]

أتعـذِرُ لا بـلْ لا مـحـالـةَ أنّـهُ ملومٌ إذا ذو الشيبِ رامَ التصابيا[3]

حبيبٌ دَعَا عن طولِ ليلِ حبيبَهُ صبا صبوةً لـمّا أطالَ التقائيا

إذا قلتُ: أنساها تردَّدَ حُبُّها كذي الدَّيْنِ يقضي مغرمًا كان كاليا[4]

أقولُ لداعي الحبِّ والحِجْرُ بَيْنَنا ووادي القُرى: لبَّيْكَ لمّا دَعَانيا[5]

كأنْ لم يكنْ نَأْيٌ إذا كان بعدَه تلاقٍ ولكنْ لا إخالُ تلاقيا[6]

خليليّ إنْ لم تبكيا ليَ ألتمِسْ خليلًا إذا أنْزَفْتُ دمعًا بكى ليا[7]

وقال خليلي: إنّ تيماءَ موعِدٌ لِبَثْنَ إذا ما الصيفُ ألقى المراسِيا[8]

فهذي شهورُ الصيفِ عنّا قدِ أنْقَضَتْ فما للنوى ترمي بليلى المراميا[9]

ألم تكُ إذْ أهلي وأهلُكِ جيرةٌ تخبّرني إن بنتُ ألّا تلاقيا[10]

ذري ردّ قولٍ قد مضى كنتُ قلتُهُ وَلِغْتِ به أو ضلّةٌ من ضلاليا[11]

---

(١) الصبابة: شدّة الشوق. وجدي: شدّة حبّي وحرقة فؤادي.

(٢) أثنان: اسم موضع بالشام. استفزّني: أثارني وهيّجني.

(٣) التصابي: تكلّف الهوى، أو الميل إلى الفتوّة.

(٤) يقضي: يفي. المغرم: الدين. الكالي: المتأخّر.

(٥) الحجر: ديار ثمود. وادي القرى: مكان تقطنه بثينة.

(٦) النأي: الفراق.

(٧) أنزف الدمع: أفناه.

(٨) ألقى المراسي: حلّ.

(٩) النوى: الفراق.

(١٠) بنت: ابتعدت.

(١١) ذري: اتركي. الضلّة: الضلال، أو الهفوة.

وأنتِ التي إن شئتِ كدّرتِ عيشتي ... وإن شئتِ بعد اللهِ أَنْعَمْتِ باليا[١]
وأنتِ التي ما من صديقٍ ولا عدًى ... يرى نضوَ ما أبْقَيْتِ إلّا رثى ليا[٢]
فإنّكِ لو تجلين نحو تهامةٍ ... أو الركنِ من حوران أصبحتُ جاليا[٣]
وقد خفتُ أن يغترّني الموت بغتة ... وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هيا[٤]
وإنّي لتنسيني الحفيظةُ كلّما ... لقيتك يومًا أن أبثّكِ ما بيا[٥]
أَلَمْ تَعْلَمي يا عذبةَ الريقِ أنّني ... أظلُّ إذا لم أُسقَ ماءكِ صاديا[٦]
وما زلتِ بي يا بثنَ حتى لَوَ انّني ... من الوجدِ استبكي الحمام بكى ليا
إذا خدرتْ رِجلي وقيل شفاؤها ... دعاءُ حبيبٍ كنتِ أنتِ دُعائيا
وما زادني النأي المفرّقُ بيننا ... سلوًّا ولا طول التلاقي تقاليا[٧]
وددتُ على حبّي الحياة لَوَ انَّها ... يزادُ لها في عمرها من حياتيا
فأقسمتُ لا ألحو محبًّا ولا أرى ... له لاحيًا إلّا دعوتُ الجوازيا[٨]
وإلّا اُعْترتني عَبْرَةٌ بعد فترةٍ ... وإلّا تداعَى الحبُّ منّي تداعيا[٩]
فلا تسمعوا قولًا لهم إن تظاهروا ... عليّ بلومٍ أنتِ سدّيته لِيَا[١٠]
فما زادني الواشون إلّا صبابةً ... ولا زادني الناهون إلّا تماديا[١١]

---

(١) كدّر العيش: نغّصه.
(٢) النضو: المهزول.
(٣) تجلين: تنزحين، ترحلين.
(٤) يغترّني: يصيبني. البغتة: المفاجأة.
(٥) الحفيظة: الغضب. أبثك: أُظهر لك، أطلعك.
(٦) الصادي: العطشان.
(٧) النأي: الفراق. التقالي: التباغض.
(٨) ألحو: ألوم. الجوازي: الذين يجازون اللائم بمثل ما بي.
(٩) تداعى: كاد ينهار.
(١٠) سدّيته لي: وجهته نحوي، أو سبّبته.
(١١) الواشون: ج الواشي، وهو النمّام المفسد. الصبابة: الوجد. التمادي: الدوام على الشيء.

إذا علمتْ وَجْدي بها وَصَبَابتي   فإنّ المنايا قاصداتٌ وُشاتيا[1]
وقالوا به داءٌ عياءٌ أصابَهُ   وقد علمَتْ نَفْسِي مكان دوائيا[2]
أمضروبةٌ ليلى على أن أزورها   ومتّخذٌ ذنبًا لها أن ترانيا[3]
هي السحرُ إلّا أنّ للسحرِ رُقْيَةً   وإنّيَ لا أُلفي لها الدهرَ راقيا[4]
أحبّ من الأسماء ما وافق اسمها   وأشبهَهُ أو كان منه مدانيا[5]

* * *

فلربّ عارضة

أبُثَيْنَ إنّك قد مَلَكْتِ فأسْجحي   وخذي بحظّكِ من كريم واصلِ[6]
فلربَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها   بالجدّ تخلِطُهُ بقولِ الهازلِ[7]
فأجبتها بالقولِ بعد تستُّرٍ   حبّي بثينةَ عن وصالِكِ شاغلي
لو كان في صدري كقدرِ قلامةٍ   فضلٌ وصلتُكِ أو أتتكِ رسائلي[8]
وَيَقُلْنَ: إنّكَ قد رضيتَ بباطلٍ   منها فهل لك في اجتناب الباطل
ولباطلٌ ممّن أحبُّ حديثَهُ   أشهَى إليّ من البغيض الباذلِ[9]
لِيُزِلْنَ عنكِ هوايَ ثمّ يصلْنَني   وإذا هويتُ فما هوايَ بزائلِ

---

(١) المنايا: ج المنيّة، وهي الموت.
(٢) الداء العياء: المرض العضال، أي الذي لا يشفى منه الإنسان.
(٣) مضروبة: مهانة.
(٤) ألفي: أجد.
(٥) المداني: القريب.
(٦) اسجحي: أجملي، أحسني. الواصل: الذي يصل.
(٧) الهازل: المازح.
(٨) القلامة: أي قلامة الظفر، وهي ما يسقط منه. وهي كناية عن الخسّة والحقارة.
(٩) الباذل: السخيّ، الكريم.

صادتْ فؤادي يا بُثَيْنَ حِبالُكُمْ يوم الحجون وأخطأتْكِ حبائلي[1]
مَنَّيْتِني فلَوَيْتِ ما منّيتِني وجعلتِ عاجل ما وعدتِ كآجلِ[2]
وتثاقلتْ لمّا رأتْ كلفي بها أَحْبِبْ إليَّ بذاكَ من مُتَثاقلِ[3]
وأطَعْتِ فيّ عواذلًا فهجرتني وعصيتُ فيك وقد جَهَدْنَ عواذلي[4]
حاوَلْنني لأبتَّ حبلَ وصالِكم منّي ولستُ وإنْ جَهَدْنَ بفاعلِ[5]
فَرَدَدْتُهنّ وقد سَعَيْنَ بهجركم لمّا سَعَيْنَ له بأفوقَ ناصلِ[6]
يمشين حول عقيلةٍ منسوبةٍ كالبدر بين دمالجٍ وخلاخلِ
يَعْضُضْنَ من غيظٍ عَلَيَّ أناملًا وَوَدِدْتُ لو يَعْضُضْنَ صُمَّ جنادلِ[7]
ويقُلْنَ: إنّك يا بُثَيْنَ بخيلةٌ نفسي فداؤكِ من ضنينٍ باخلِ[8]

* * *

أفي الناس أمثالي

ألَمْ تَسْأَلِ الدارَ القديمةَ: هلْ لهَا بِأُمِّ حُسَيْنٍ[9]، بعدَ عَهْدِكَ، من عَهْدِ؟
سَلِيَ الرَّكْبَ: هَلْ عُجْنا لِمَغْنَاكِ مَرَّةً صُدُورَالمَطايَا، وَهيَ موقَرَةٌتَخْدِي[10]

---

(١) الحجون: اسم جبل في مكّة.
(٢) منّيتني: وعدتني. لويت: أخلفت.
(٣) تثاقلت: تلكّأت. الكلف: شدّة الحبّ.
(٤) العواذل: ج العاذل، وهو اللّائم.
(٥) أبتّ: أقطع.
(٦) الأفوق: السهم الذي فيه انكسار أو ميل في أحد طرفيه. الناصل: الذي لا نصل له.
(٧) الأنامل: أطراف الأصابع. الجنادل: ج الجندل، وهو الصخرة، أو الحجر الكبير.
(٨) الضنين: البخيل.
(٩) أم حسين: كنية أخت بثينة، أو هي أم الجسير على اختلاف روايات الأغاني.
(١٠) الركب: الراكبون. عجنا صدور المطيّ: عطفناها. المغنى: المنزل. موقرة: مُحمّلة

وَهَلْ فاضَتِ العَيْنُ الشَروقُ بمَائِهَا ... لأجْلِكِ، حتّى أخضَلَّ منْ دَمْعِها بُرْدي

وإنّي لأَسْتَجري لَكِ الطَّيْرَ جَاهِدًا ... لِتَجْري بيُمْنٍ منْ لقائِكِ أوْ سَعْدِ

وإني لِأَسْتَبكي، إذا الرَّكْبُ غرَّدُوا ... بذِكْراكِ، أن يَحيا بِكِ الرَّكْبُ إذ يَخْدي[1]

فَهَلْ تَجْزِيَنّي أُمُّ عَمرٍو بِوِدِّها، ... فإنَّ الذي أُخْفي بِها فَوْقَ ما أُبْدي

وَكُلُّ مُحبٍّ لمْ يَزِدْ فَوْقَ جُهْدِهِ ... وَقَدْ زِدْتُهَا في الحُبِ منّي على الجُهْدِ[2]

إذا ما دَنَتْ زِدتُ اشتياقًا، وَإنْ نَأَتْ ... جَزِعْتُ لِنأْيِ الدَار مِنْهَا وَلِلْبُعْدِ

أَبى القَلْبُ إلّا حُبَّ بَثْنَةَ لَمْ يُرِدْ ... سِوَاهَا، وحُبُّ القَلبِ بَثْنَةَ لا يُجْدي

تعلَّقَ روحي روحَها قَبْلَ خَلْقِنا ... ومِنْ بَعدِ ما كُنّا نِطافًا وفي المَهْدِ[3]

وما وَجَدَتْ وجْدي بِهَا أُمُّ واحِدٍ، ... ولا وَجَدَ النَهْدِيُّ[4] وَجْدِي عَلَى هِنْدِ

ولا وَجَدَ العُذْريُّ عُروةُ[5]، إذْ قَضَى ... كَوَجْدِي، وَلَا مَنْ كَانَ قَبْلي وَلَا بَعْدِي

عَلَى أنَّ مَنْ قَدْ ماتَ صادَفَ راحَةً، ... وما لِفُؤادي مِنْ رَوَاحٍ وَلَا رُشْدِ

أَفِي النَّاس أمثالي أَحَبُّوا، فَحالُهُمْ ... كحَالِيَ، أَمْ أَحْبَبْتُ منْ بينِهِمْ وَحْدِي؟

وَهَلْ هَكَذَا يَلْقَى المُحِبّون مثلَ مَا ... لقيتُ بِهَا، أَمْ لَمْ يجِدْ أحدٌ وَجْدي

يَغورُ[6]، إذَا غارَتْ فُؤَادي، وإن تَكُنْ ... بِنَجْدٍ، يَهُمُّ منّي الفؤادُ الى نَجْدِ

أَتَيْتُ بَني سَعْدٍ صَحيحًا مُسَلَّمًا، ... وَكَانَ سقامَ القلبِ حُبُّ بني سَعْدِ

* * *

---

(١) يخدي: يُسرع.

(٢) الجهد: الطاقة.

(٣) النطاف: جمع نطفة، وهي المنيّ (ماء التناسل).

(٤) النهدي: عبدالله بن عجلان النهدي شاعر جاهلي، وأحد المتيمين من الشعراء الذين قتلهم الحب، وكان يشبب بصاحبته هند.

(٥) عروة: هو عروة بن جزام العذري أحد عشاق العرب المشهورين، كان في زمن معاوية، أحب ابنة عمه عفراء بنت مالك، وتغزل بها في شعره ولم يزوجه عمه فمات مسلولًا.

(٦) يغور: يأتي الغور من تهامه.

قيس لبنى

هو قيس بن ذَريح بن سنّة، وُلد في بيت عزيز بين قومه، غير أنّ المصادر لم تذكر تاريخ ولادته، ولكنّها تشير إلى أنّه كان رضيع الحسين بن عليّ الذي وُلد سنة ٤هـ أو ٦هـ.

أحبّ لبنى بنت الحباب الكعبيّة، وهي من خزاعة. وسبب ولوعه بها أنّه مرّ لبعض حاجته بخيام بني كعب، طالبًا الماء، فسقته امرأة مديدة القامة حلوة الكلام، فعلق بها. ولمّا أعلم والده بالأمر أبى عليه قائلًا: يا بنيّ عليك بإحدى بنات عمّك، فهي أحقّ بك. ثم عاد وشكا أمره إلى أمّه، فلم يجد عندها ما يحبّ. وبعد إصرار زفّت لبنى إليه وعاشا حياة سعيدة هنيئة، ولكن لم ينجبا. فطلب منه والده أن يطلّق لبنى، ويتزوّج من سواها، علّها تنجب له ولدًا. فرفض بادىء الأمر، ولمّا أصرّوا عليه طلّقها. ولمّا بانت عنه ازداد ولهه بها، ولحقه مثل الجنون.

وحاول أهله أن يزوّجوه بفتاة أخرى، فتزوّج بفتاة، ولكنّه لم يقربها، بل ظلّ يتردّد إلى حيّ مطلّقته، فشكاه أبوها إلى معاوية، فأهدر دمه إن ألـمّ بها. ولمّا بلغه الأمر قال:

فإن يحجبوها أو يحلْ دون وصلها مقالة واشٍ أو وعيدُ أميرِ
فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري

واختلفت الروايات في نهاية حبّهما اختلافًا كبيرًا، فذكر أكثرهم أنّهما

ماتا مفترقين؛ وذكرت جماعة أنّه مات قبلها، ولمّا بلغها الخبر ماتت عليه أسفًا. وقالت جماعة أخرى أنّها ماتت قبله، ثم مات بعدها أسفًا عليها وذلك بحدود ٦٨هـ/ ٦٨٨م.

* * *

مصائب الدهر

بانَتْ لُبَيْنَى فهاجَ القلبَ مَنْ بانا ... وكان ما وَعَدتْ مَطْلًا وليّانا[١]

وأخلَفَتْكَ مُنًى قد كنتَ تأمُلُها ... فأصبحَ القلبُ بَعْدَ البينِ حيرانا

اللهُ يَدْرِي وما يَدْرِي به أحدٌ ... ماذا أُجمجِمُ من ذكراكِ أحيانا[٢]

يا أكملَ الناسِ من قَرْنٍ إلى قدم ... وأحسنَ الناسِ ذا ثوب وعريانا[٣]

لا باركَ اللهُ فيمن كان يَحْسَبُكُمْ ... إلّا على العَهْدِ حتّى كان ما كانا

قد زارني طيفُكُمْ ليلًا فأرّقني ... فبتُّ للشوق أُذْري الدمع تهتانا[٤]

إنْ تُصْرِمي الحَبْلَ أو تُمسي مُفارِقةً ... فالدهر يُحدِثُ للإنسانِ ألوانا[٥]

وما أرى مِثْلَكُمْ في الناسِ من بشرٍ ... فقد رأيتُ به حيًّا ونسوانا

* * *

لا أقرّ الله عينك

أيا كبدًا أطارَتْ صُدُوعًا نوافذًا ... ويا حَسْرَتًا ماذا تَغَلْغَلَ في القلبِ[٦]

---

(١) بانت: فارقت، هجرت. الليّان: المطل والتسويف.

(٢) أجمجم: أخفي في الصدر.

(٣) القرن: أعلى الرأس.

(٤) أرّقني: أقلقني. الطيف: الخيال. أذري الدمع: أسكبه. التهتان: الانصباب.

(٥) تصرمي الحبل: تقطعي الصلة بي.

(٦) الصدوع: الشقوق.

فأقسمُ ما عُمْشُ العيونِ شوارفٌ روائمُ بوٌّ حائماتٌ على سَقْبِ[1]

تَشَمَّمْنَهُ لو يستطِعْنَ أرْتَشَفْنَهُ إذا سُفْنَهُ يَزْدَدْنَ نكبًا على نَكْبِ[2]

رَئِمْنَ فما تَنْحَاشُ مِنْهُنَّ شارفٌ وحالَفْنَ حَبْسًا في المُحُولِ وفي الجَدْبِ[3]

بأوْجدَ منّي يومَ وَلَّتْ حُمُولُها وَقَدْ طلَعتْ أولى الركابِ من النقبِ[4]

وكُلُّ مُلِمّاتِ الزمانِ وجدتُها سوى فُرْقَةِ الأحبابِ هيِّنَةَ الخطبِ[5]

إذا افْتَلَتَتْ منك النوى ذا مودّةٍ حبيبًا بتصداعٍ من البين ذي شَعْبِ[6]

أذاقتكَ مُرَّ العيشِ أو مُتَّ حَسْرَةً كما مات مسقيُّ الضياحِ على ألبِ[7]

وقلتُ لقلبي حين لجَّ بيَ الهَوَى وكلّفني ما لا يطيقُ من الحبِّ[8]

ألا أيّها القلب الذي قاده الهوى أفقْ لا أقرّ اللهُ عَيْنَكَ من قلب

* * *

ألا حَيِّ لُبْنَى

ألَا حيِّ لُبْنَى اليومَ إنْ كنتَ غادِيا وألْمِمْ بها من قبلِ أنْ لا تلاقيا[9]

---

(١) الشوارف: ج الشارفة، وهي الناقة المسنّة. الروائم: ج الرائمة، وهي التي تعطف على الأولاد. البوّ: جلد ولد الناقة الميت، يحشى بالتبن وغيره، ويقرّب من أمه لتدرّ. السقب: ولد الناقة.

(٢) سفنه: شممنه. النكب: المصيبة.

(٣) رئمن: عطفن. تنحاش: تبتعد. المحول: الجدب.

(٤) بأوجد: بأحزن. النقب: الطريق.

(٥) الملمّات: ج الملمّة، وهي المصيبة. الخطب: المصيبة.

(٦) افتلتت: أخذت بسرعة. النوى: الفراق. التصداع والشعب: التفرّق.

(٧) الضياح: اللبن الخاثر، يصبّ فيه الماء ثمّ يقلّب. الألب: العطش، أو السمّ، أو شدّة الحرّ.

(٨) لجّ: ألحّ.

(٩) الغادي: الذاهب في الغداة. ألمم بها: زرها.

وأهْدِر لها منكَ النّصيحَةَ إنّها قليلٌ ولا تخشَ الوُشاةَ الأدانيا[1]

وقُلْ: إنّني والراقصاتِ إلى مِنًى بأجْبُلِ جَمْعٍ يَنْتَظِرْنَ المناديا[2]

أَصُونُكِ عن بعض الأمورِ مَضَنَّةً وأخشى عليكِ الكاشحين الأعاديا[3]

تَسَاقَطُ نفسي حين ألقاكِ أنفسًا يردْنَ فما يَصْدُرْنَ إلّا صواديا[4]

فإنْ أَخْيَ أو أَهْلِكْ فلستُ بزائلٍ لكم حافظًا ما بلّ ريقٌ لسانيا

أقولُ إذا نفسي من الوجدِ أصْعَدَتْ بها زفرةٌ تَعْتادُني هي ما هيا

وبين الحشا والنحرِ منّي حرارةٌ ولوعةُ وجدٍ تتركُ القلبَ ساهيا[5]

ألا ليت لُبْنَى لم تكن ليَ خُلّةً ولم ترني لُبْنَى ولم أدْرِ ما هيا[6]

سلي الناسَ هل خَبَّرْتُ سِرَّكِ منهمُ أخا ثقةٍ أو ظاهرَ الغشِّ باديا

وأَخرجُ من بين البيوتِ لعلّني أحدِّثُ عنكِ النفسَ في السرّ خاليا

وإنّي لأسْتَغْشِي وما بيَ نَعْسَةٌ لعلّ خيالًا منكِ يلقى خياليا[7]

يقولُ ليَ الواشون لمّا تظاهروا عليكِ وأضحَى الحبلُ للبينِ واهيا:[8]

لَعَمْرِي لَقَبْلَ اليومِ حُمِّلْتَ ما ترى وأُنْذِرْتَ من لُبْنَى الذي كنتَ لاقيا

خليليَّ ما لي قد بُليتُ ولا أرى لُبَيْنَى على الهجرانِ إلّا كما هيا

ألا يا غرابَ البَيْنِ ما لك كلّما ذكرتُ لُبَيْنَى طِرْتَ لي عن شماليا[9]

---

(١) الوشاة: ج الواشي، وهو النمّام المفسد. الأدانيا: الأقربين.

(٢) الراقصات: أي الإبل التي تسير بسرعة وكأنّها ترقص. أجبل جمع: اسم موضع.

(٣) المضنّة: البخل. الكاشحون: ج الكاشح، وهو الذي يضمر البغض والعداوة.

(٤) تساقط: أي تتساقط. يردن: يقصدن الماء. يصدرن: يرجعن عن الماء. الصوادي: ج الصادية وهي العطشى.

(٥) النحر: أعلى الصدر. الساهي: المنذهل.

(٦) الخلّة: الصديقة.

(٧) أستغشي: أطلب النوم.

(٨) الواشون: ج الواشي، وهو النمّام المفسد. البين: الفراق. الواهي: الضعيف.

(٩) في هذا البيت إشارة إلى تشاؤم العرب بالطير الذي يطير عن شمال المرء.

أعندكَ علمُ الغَيْبِ أم لَسْتَ مُخبري ... عنِ الحيِّ إلّا بالذي قد بدا ليا
فلا حَمَلَتْ رِجْلاك عشًا لبَيْضَةٍ ... ولا زالَ عظمٌ من جناحِكَ واهيا
أُحبُّ من الأسماءِ ما وافقَ اسمَها ... وأشْبَهَهُ أو كان منه مُدانيا[1]
وما ذُكِرَتْ عندي لها من سَمِيَّةٍ ... من الناسِ إلّا بلّ دمعي ردائيا
جزِعْتُ عليها لو أرى لي مجزعًا ... وأفنيتُ دمعَ العينِ لو كان فانيا[2]
حياتكِ لا تُغْلَبْ عليها فإنَّهُ ... كفى بالذي تلقى لنفسِكَ ناهيا
أشوقًا ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ ... رُوَيْدَ الهوى حتّى يَغُبَّ لياليا[3]
تمرّ الليالي والشهورُ ولا أرى ... ولوعي بها يزدادُ إلّا تماديا[4]
فقد يجمعُ اللهُ الشتيتين بَعْدَما ... يظنّان كلّ الظنّ ألّا تلاقيا[5]
فما عن نوالٍ من لُبَيْنَى زيارتي ... ولا قِلَّةُ الإلمامِ أن كنتُ قاليا[6]
ولكنّها صدّتْ وحُمّلْتُ من هوًى ... لها ما يؤودُ الشامخاتِ الرواسيا[7]

* * *

(١) المداني: القريب.
(٢) جزعت: خفت. المجزع: الجزع. أفنيت: أهلكت.
(٣) يغبّ: يمضي.
(٤) التمادي: الدوام والاستمرار.
(٥) الشتيتين: المتفرّقين، المفرّقين.
(٦) النوال: العطاء. قلّة الإلمام: قلّة الزيارة. القالي: الكاره.
(٧) صدّت: منعت. يؤود: يرهق. الشامخات: الجبال الشامخة. الرواسي: العظيمة.

مجنون ليلى

هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، وُلد في زمن مروان بن الحكم الذي توفّي في حدود ٦٥هـ. أحبّ ليلى بنت سعد من بني ربيعة وأحبّته، وهما بعد صغيران يرعيان المواشي على سفح جبل «التوباد»، ولمّا كبرا، وكثر تردّد قيس إلى ديارها، حجبها أبوها، خاصة بعد أن صار عشقه حديث الناس لما أنشد فيها من أشعار.

أثار هذا التصرّف غضب قيس، وأصرّ على حبّه لها، فلامه أهله، وحاولوا منعه، فلم يمتنع، بل ظلّ يغشى ديارها، فشكاه أبوها إلى السلطان الذي أهدر دمه. ورغم ذلك لم يرتدع ممّا أجبر أهله على الرحيل. ثم أُكرهت ليلى على الزواج من ورد بن محمد. ولمّا بلغ قيسًا الخبر هام على وجهه، وتوحّش منشدًا الأشعار، وكان يُرى تارةً في الشام وطورًا في نجد، وأخرى في الحجاز، إلى أن وجد أخيرًا ميتًا في وادٍ كثير الأحجار، فحملوه ودفنوه بعد أن غسلوه وكفّنوه، وكان ذلك في حدود ٦٨هـ/ ٦٨٨م.

* * *

حمامات بطوق

أجدِّكِ يا حَمَامَاتٍ بطوقٍ فقد هيّجتِ مَشْغُوفًا حزينا[1]
أغرّكِ يا حَمَامَاتٍ بطوقٍ بأنّي لا أنامُ وتَهْجَعينا[2]
وإنّي قد بَرَاني الحبُّ حتّى ضَنِنْتُ وما أراكِ تغيّرينا[3]
أرادَ اللهُ مَحْلَكِ في السلامى إلى مَنْ بالحنينِ تشوّقينا[4]
ولستِ وإنْ حَنَنْتِ أشدَّ وجدًا ولكنّي أسِرُّ وتُعْلِنينا
وبي مثلُ الذي بكِ غير أنّي أجلُّ عن العقال وَتَعْقِلينا[5]
أما واللهِ غير قِلًى وبغضٍ أسِرُّ ولَمْ أزَلْ جَزِعًا حزينا[6]
لقد جعلتْ دواوينُ الغواني سوى ديوانِ ليلى يمحّينا
فقِدْمًا كنتِ أرْجَى الناسِ عندي وأقدرهم على ما تطلبينا
ألا لا تَنْسَيَنْ روعاتِ قلبي وعِصْيَاني عليكِ العاذلينا[7]

* * *

المؤنسة

تذكّرتُ لَيْلَى والسنينَ الخواليا وأيّامَ لا نخشى على اللّهوِ نَاهيا[8]
وَيَوْمٍ كظلِّ الرمحِ قصّرْتُ ظلَّهُ بلَيْلَى فَلَهّاني وما كنتُ لاهيا

(١) الجدّ: الحظّ. هيّجتِ: أثرتِ. المشغوف: المولع والمحبّ.
(٢) تهجعين: تنامين.
(٣) براني: أتلفني، أهزلني تغيّرين: تتغيّرين.
(٤) المحل: الجدب. السلامى: عظم صغير مجوّف.
(٥) العقال: الرباط.
(٦) القلى: البغض. الجزع: الخائف.
(٧) العصيان: المعاندة. العاذلين: اللائمين.
(٨) الخوالي: الماضية. الناهي: المانع.

بِثَمْدِين لاحتْ نار ليلى وَصُحْبتي — بذاتِ الغضى تُزْجى المطيَّ النواجيا[1]

فقال بصيرُ القومِ أَلْمَحْتُ كوكبًا — بدا في سوادِ الليلِ فَرْدًا يمانيا

فقال له: بل نارُ ليلى توقَّدَتْ — بعليا تَسَامَى ضوؤها فبدا ليا

فليت ركابَ القومِ لم تقطعِ الغضى — وليت الغضى ماشَى الركابَ لياليا[2]

فيا ليلُ كم من حاجةٍ لي مهمّةٍ — إذا جئتُكُمْ بالليلِ لم أدرِ ما هيا

خليليَّ إن لا تبكيانيَ أَلْتَمِسْ — خليلًا إذا أنزفتُ دمعي بكى ليا

فما أُشرفُ الأيفاعَ إلّا صبابةً — ولا أنشدُ الأشعار إلّا تداويا[3]

وقد يجمع اللهُ الشتيتين بعدَما — يظنّان كلَّ الظنّ أن لا تلاقيا

لحى اللهُ أقوامًا يقولون إنّنا — وجدنا طوال الدهرِ للحبِّ شافيا[4]

إذا ما جلسنا مجلسًا نستلذّه — تواشوا بنا حتّى أملَّ مكانيا[5]

خليليّ لا واللهِ لا أملكُ الذي — قضى اللهُ في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبّها — فهلّا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا[6]

وخبّرتماني أنّ تيماءَ منزلٌ — لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا[7]

فهذي شهورُ الصيفِ عنّا قدِ انقضتْ — فما للنوى ترمي بليلى المراميا[8]

فلو أنّ واشٍ باليمامة دارُهُ — وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

---

(١) ثمدين: اسم موضع. ذات الغضى: اسم موضع. تزجي: تسوق. النواجي: الكريمة.

(٢) الغضى: نوع من الشجر، وهي كناية عن بلاد نجد.

(٣) الأيفاع: ج اليفع، وهو التلّ المشرف. التداوي: طلب الشفاء.

(٤) لحى: لعن.

(٥) تواشوا بنا: ذكرونا بالسوء.

(٦) قضاها لغيري: جعلها لغيري.

(٧) ألقى الصيف المراسي: حلّ الصيف.

(٨) النوى: البعاد.

وماذا لهم لا أحسنَ اللهُ حالَهم — من الحظّ في تصريم ليلى حباليا[1]

فيا رَبِّ سوِّ الحبَّ بَيْني وبينها — يكون كفافًا لا عَلَيَّ ولا ليا

فإن تمنعوا ليلى وتَحْموا بلادَها — عليَّ فلن تَحْمُوا عليّ القوافيا

أحبُّ من الأسماء ما وافقَ اسْمَها — أوَ اشْبهَهُ أو كان منه مدانيا

ألا أيّها الواشي بليلى ألا ترى — إلى مَنْ تَشِيها أو بمن جئتَ واشيا

لَئِنْ ظَعَنَ الأحبابُ يا أمّ مالكٍ — فما ظعن الحبُّ الذي في فؤاديا[2]

فيا ربِّ إذْ صَيَّرْتَ ليلى هي المنى — فزنّي بعَيْنَيْها كما زِنْتَها ليا

وإلّا فبغّضها إليَّ وأهلها — فإنّي بليلى قد لقيتُ الدواهيا[3]

على مثلِ ليلى يقتُلُ المرءُ نفسَهُ — وإنْ كنتُ من ليلى على اليأسِ طاويا[4]

خليليّ إنْ ضَنُّوا بليلى فَقَرِّبا — لي النعشَ والأكفانَ واستغفرا ليا[5]

* * *

(١) التصريم: قطع الصلة.

(٢) ظعن: ارتحل.

(٣) الدواهي: ج الداهية، وهي المصيبة.

(٤) طوى الشيء: أخفاه.

(٥) ضنوا: بخلوا.

الصمة بن عبدالله بن الطفيل

هو الصمّة بن عبدالله بن الطفيل القشيريّ (٠٠٠- نحو ٩٥هـ/ نحو ٧١٤م) من شعراء العصر الأمويّ، شاعر غزل، ومن العشّاق المُتَيَّمين. كان يسكن بادية العراق، فانتقل إلى الشام. وخرج غازيًا يريد بلاد الديلم، فمات في طبرستان. اشتُهر بقصيدته الغزلية الوجدانيّة التالية.

* * *

حنين

حَنَنْتَ إلى ريّا ونفسُك باعدتْ مزارَك من ريّا وشعباكما معا

فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائعًا وتجزع إن داعي الصبابةِ أسمعا[1]

قفا ودّعا نجدًا ومَنْ حلَّ بالحِمَى وَقَلَّ لنجدٍ عندنا أن يُوَدَّعا

بنفسي تلك الأرضُ ما أطيبَ الربى وما أحسن المصطافَ والمتربّعا

وليستْ عشيّاتُ الحمى برواجعٍ عليك ولكنْ خلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمعا

ولمّا رأيتُ البشر أعرضَ دوننا وجالتْ بناتُ الشوقِ يحننّ نزّعا[2]

بكتْ عينيَ اليسري فلمّا زجرتُها عن الجهلِ بعد الحِلمِ أسبلتا معا[3]

---

(١) الصبابة: الحبّ.

(٢) البشر: اسم جبل في الجزيرة الشاميّة.

(٣) زجرتها: منعتها. الحلم: ضد الجهل.

تلفّتُ نحو الحيّ حتّى وجَدْتُني وجعتُ من الإصغاءِ ليتًا وأخدعا[1]
وَأَذْكُرُ أيّام الحِمى ثم أَنْثَني على كَبدي من خشيةٍ أن تَصدّعا[2]

* * *

(١) الليت: صفحة العنق. الأخدع: عرق في العنق.

(٢) يقول: أتذكّر أيّام وصلنا، فأنثني على نفسي خائفًا من أن أموت من شدّة التأثّر.

جرير

هو أبو حرزة جرير بن عطيّة الملقّب بالخطفى. وُلد باليمامة سنة ٣٣هـ/ ٦٥٣م من أب وضيع بخيل، خامل الذكر، لا شأن له في قبيلته. وضعته أمّه في شهرها السابع. ولمّا شبّ راح يرعى الغنم لأبيه، وقد قال الشعر وهو دون الخامسة عشرة من عمره. اشتهر بالهجاء، وراح يرمي به الخصوم، فذاع صيته بين الناس، وردّدت اسمه الركبان. نشبت بينه وبين الفرزدق حرب هجائيّة دامت خمسين سنة. فكان الشاعر منهما ينظم القصيدة، ويبعث بها إلى خصمه، فينقض الخصم ما جاء فيها بقصيدة ينظمها على الوزن نفسه والرويّ والقافية نفسهما. كما تهاجى مع الأخطل؛ وسمّيت هذه القصائد «بالنقائض».

تزوّج عدّة نساء، وأنجبن له عشرة أولاد، كان يجلس إليهم يبصّرهم بالشعر حتى غدوا جميعًا يقرضون الشعر.

اتصل عبر حياته بعدد من الخلفاء، أولهم يزيد بن معاوية، واتّخذه الحجاج بن يوسف شاعره الخاص. كما اتصل بعبد الملك بن مروان وبأخويه سليمان ويزيد. ثم اتّصل بعمر بن عبد العزيز. توفي نحو ١١٤هـ/ ٧٣٣م.

* * *

رثاء امرأته

لَوْلَا ٱلْحَيَاءُ، لَعَادَنِي ٱسْتِعْبَارُ، وَلَزُرْتُ بَيْتَكِ، وَٱلْحَبِيبُ يُزَارُ[1]
وَلَقَدْ نَظَرْتُ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظْرَةٍ فِي ٱللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ ٱلْمِحْفَارُ[2]
وَلَّهْتِ قَلْبِي، إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ، وَذَوُو ٱلتَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكِ صِغَارُ[3]
أَرعى النُّجومَ، وقدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةٌ، عُصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صُوَارُ[4]
نِعْمَ ٱلْقَرِينُ، وَكُنْتِ عِلْقَ مَضَنَّةٍ وَأَرَى بِنَعْفِ بُلَيَّةَ ٱلأَحْجَارُ[5]
عَمَرَتْ مُكَرَّمَةَ ٱلْمَسَاكِ وَفَارَقَتْ مَا مَسَّهَا صَلَفٌ وَلَا إِقْتَارُ[6]
فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ، بِبُرْقَةِ ضَاحِكٍ هَزِمٌ أَجَشُّ، وَدِيمَةٌ مِدْرَارُ[7]
هزِمٌ أَجَشُّ، إِذَا ٱسْتَحَارَ بِبَلْدَةٍ فَكَأَنَّمَا بِجِوَائِهَا ٱلأَنْهَارُ[8]
مُتَرَاكِمٌ زَجِلٌ يُضِيءُ وَمِيضُهُ كَٱلْبُلْقِ تَحْتَ بُطُونِهَا ٱلأَمْهَارُ[9]
كَانَتْ مُكَرَّمَةَ ٱلْعشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ[10]

---

(١) استعبار: بكاء. بيتك: قبرك.

(٢) المحفار: آلة الحفر.

(٣) ولهة: حزينة أشدّ الحزن. التمائم: ج تميمة وهي خرزة أو عوذة تُعلّق في عنق الولد دفعًا للأخطار.

(٤) الغورية: التي تأخذ الغور للغروب والسقوط. العصب: الجماعات: الصوار: قطيع بقر الوحش.

(٥) العلق: النفيس من كل شيء. المضنة: ما يضن به. النعف: أسفل الجبل وأعلى الوادي. بلية: اسم موضع.

(٦) الصلف: الكبرياء. الاقتار: العسر.

(٧) الصدى: كان العرب يعتقدون بأنه يخرج من رأس القتيل طير يسمونه «صدى» يظل عطشان يصيح «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره. الهزم: السحاب الراعد. الأجش: الغليظ الصوت من الرعد. برقة ضاحك: اسم موضع.

(٨) الجواء: ج جو وهو الناحية والجهة.

(٩) زجل: ذو جلبة. البلق: ج أبلق وهو ما كان في لونه سواد وبياض.

(١٠) الغوائل: المصائب. أمّ حزرة: كنية امرأته.

وَلَقَدْ أَرَاكِ كُسِيتِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ، وَمَعَ ٱلْجَمَالِ سَكِينَةٌ وَوَقَارُ
وَٱلرِّيحُ طَيِّبَةٌ إِذَا ٱسْتَقْبَلْتِهَا وَٱلْعِرْضُ لَا دَنِسٌ وَلَا خَوَّارُ[1]
وَإِذَا سَرَيْتُ، رَأَيْتُ نَارَكِ نَوَّرَتْ وَجْهًا أَغَرَّ، يَزِينُهُ ٱلإِسْفَارُ
صَلَّى ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلَّذِينَ تُخُيِّرُوا وَٱلصَّالِحُونَ عَلَيْكِ، وَٱلأَبْرَارُ
وَعَلَيْكِ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكِ كُلَّمَا نَصِبَ ٱلْحَجِيجُ مُلَبِّدِينَ، وَغَارُوا[2]
يَا نَظْرَةً لَكِ، يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةً مِنْ أُمِّ حَزْرَةَ، بِٱلنُّمَيْرَةِ دَارُ
تُحْيِي ٱلرَّوَامِسُ رَبْعَهَا، فَتُجِدُّهُ بَعْدَ ٱلْبِلَى، وَتُمِيتُهُ ٱلأَمْطَارُ[3]
وَكَأَنَّ مَنْزِلَةً لَهَا، بِحُلَاحِلٍ وَحْيُ ٱلزَّبُورِ تُجِدُّهُ ٱلأَحْبَارُ[4]
لَا تُكْثِرَنَّ، إِذَا جَعَلْتَ تَلُومُنِي، لَا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكَ ٱلإِكْثَارُ
كَانَ ٱلْخَلِيطُ هُمُ ٱلْخَلِيطُ، فَأَصْبَحُوا مُتَبَدِّلِينَ، وَبِٱلدِّيَارِ دِيَارُ[5]
لَا يَلْبَثُ ٱلْقُرَنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمِ وَنَهَارُ!

* * *

(١) الخوار: الضعيف.

(٢) نصب: تعب. الحجيج: ج حاج. ملبدين: مقيمين. غار الرجل: نام.

(٣) الروامس: الرياح.

(٤) الزبور: المزامير. تجده: تكتبه فتحكمه.

(٥) الخليط: القوم المختلطون بالمجاورة. المعنى: ذهب الذين أحبّهم.



الباب الخامس:

من الشعر الوجداني
في العصر العباسيّ



الشريف الرضي

هو أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى. وُلد في بغداد سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م. أصله شريف يرتقي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. إليه انتهت نقابة الأشراف في حياة والده.

كان يطمح إلى الخلافة، وكان أبو إسحق الصابي، الكاتب المشهور يطمعه فيها. تولّى إمارة الحجّ، وشهد مواسم العيد، وفيها النساء الوافدات من جميع البلدان، فحرّك هذا المشهد أوتار قلبه، فنظم قصائد شهيرة في الغزل العفيف عُرفت بالحجازيّات.

توفي في بغداد سنة ٤٠٦هـ/١٠١٦.

* * *

قال يرثي والدته فاطمة بنت الناصر:

العمر روحة راكب

أبكيكِ لَوْ نقعَ الغليلَ بُكَائي ... وَأقولُ لَوْ ذهبَ المقالُ بِدائي(١)

وَأعُوذُ بالصّبْرِ الجَميلِ تعَزّيًا ... لَوْ كان بالصّبْرِ الجَميلِ عزائي

طَورًا تكاثِرني الدموعُ، وَتَارةً ... آوِي إلى أكرومتي وحَيَائي

(١) نقع الظمأ: أرواه. الغليل: حرارة الحزن.

كم عَبرةٍ مَوّهتُهَا بِأنامِلي، ... وَسَترتُها مُتجمّلاً بِرِدائي
أُبْدي التّجلّدَ للعدُوّ، وَلَوْ درَى ... بتَمَلْمُلي لَقدِ اشتفَى أعدائي
ما كنتُ أذخَرُ في فِداكِ غريبَةً، ... لو كان يَرْجِعُ ميتٌ بفِداءِ
لو كان يُدفَعُ ذا الحِمَامُ بقُوّةٍ ... لتكَدّسَتْ عُصَبٌ وراءَ لِوَائي
بِمُدَرَّبينَ عَلى القِراعِ تفيَّأُوا ... ظِلَّ الرِّمَاحِ لكُلّ يَوْمِ لقَاءِ
قوْمٌ إذا مَرِهُوا بأغبابِ السُّرَى ... كَحَلُوا العُيونَ بإثمِدِ الظَّلْماءِ[1]
يَمْشُونَ في حَلَقِ الدّروعِ كأنّهُمْ ... صُمُّ الجلامِدِ في غَدِيرِ الماءِ
فارقْتُ فيكِ تماسُكي وتَجمّلي ... ونسيتُ فيكِ تعزُّزي وإبَائي
وصنعْتُ ما ثَلَمَ الوقارَ صنيعُهُ ... مِمّا عَرَاني مِنْ جَوَى البُرحَاءِ[2]
كم زَفرَةٍ ضَعُفت فَصارتْ أنّةً، ... تَمّمتُها بتنفّسِ الصُّعَداءِ
لهفَانَ أنزو في حَبَائِلِ كُربَةٍ ... مَلكَتْ عَليّ جَلادَتي وَغَنَائي
وجَرَى الزمَانُ على عوائدِ كَيْدِهِ ... في قلْبِ آمَالي، وعكْسِ رجائي
قدْ كنتُ آمُلُ أنْ أكونَ لكِ الفدا ... مِمّا ألَمّ، فكنتِ أنت فِدائي
وتفرُّقُ البُعَداءِ بعدَ مودّةٍ ... صَعبٌ، فكيفَ تفرّقُ القُربَاءِ
وخلائِقُ الدّنيا خلائِقُ مُومِسٍ ... للمنْعِ آوِنَةً، وللإعطَاءِ
طورًا تُبادِلُكَ الصّفَاءَ، وتارةً ... تَلْقَاكَ تُنكِرُهَا مِنَ البغضَاءِ
وَتَداوُلُ الأيّامِ يُبلِينَا كَمَا ... يُبلي الرِّشَاءَ تطاوُحُ الأرْجَاءِ[3]
وكأنّ طولَ العُمْرِ روحَةُ راكِبٍ ... قضّى اللُّغُوبَ وَجَدّ في الإسرَاءِ
لو كان مِثلَكِ كُلُّ أمٍّ بَرّةٍ ... غَنِيَ البنُونَ بهَا عَنِ الآباءِ

(١) مرهوا: ابيضت حماليق أعينهم. الأغباب: الغوامض من الأرض. الإثمد: الكحل استعاره للظلام

(٢) البرحاء: الشدّة والأذى.

(٣) الرشاء: حبل البئر. تطاوح: ترامي. الأرجاء، الواحد رجا: حافة البئر، والناحية.

كيف السّلوّ، وكل موقعٍ لحظة   أثرٌ لفضلكِ خالدٌ بإزائي
شهدَ الخلائقُ أنّها لنجيبَةٌ   بدليلِ ما ولدَتْ من النجبَاءِ
في كُلِّ مُظْلِمِ أزْمَةٍ أو ضِيقَةٍ   يَبْدُو لَها أثرُ اليدِ البيضَاءِ
مَعْرُوفُكِ السّامي أنيسُكِ، كلّما   وَرَدَ الظّلامُ بوحشَةِ الغَبْرَاءِ
وَضِياءُ ما قَدّمتِهِ من صَالِحٍ   لكِ في الدّجى بَدَلٌ مِنَ الاضْوَاءِ
إنّ الذي أرضَاهُ فِعلُكِ لا يَزَلْ   ترضيكِ رَحْمتُهُ صَبَاحَ مَساءِ
صلّى عَليكِ، وَما فقدْتِ صَلاتَهُ   قبلَ الرّدىٰ، وجزاكِ أيّ جزاءِ
لو كَانَ يُبلِغُكِ الصّفيحُ رسَائِلي   أو كانَ يُسمعُكِ التّرابُ نِدائي
لَسَمعتِ طُولَ تأوّهي وَتَفجّعي   وَعَلمتِ حُسنَ رعايَتي ووفَائي
كَانَ ارتِكاضي في حشَاكِ مُسَبّبًا   ركضَ الغليلِ عَلَيكِ في أحشائي

* * *

العباس بن الأحنف

هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي نسبة إلى «اليمامة» وهي بلدة في الحجاز، لعلّه وُلد فيها. وقيل: إنّه من عرب خراسان، ومنشأه بغداد.

شاعر اقتصر شعره على الغزل الرقيق. اتّصل بالمهدي والرشيد اتّصال ألفة لا اتّصال غاية وتكسّب؛ نال بفضل شعره الرقيق جوائز سنيّة. أحبّ جارية استعار لها اسم «فوز» خشية من أن يتعرّض إلى ما لا تحمد عقباه. وقد ذكر في ديوانه عدة أسماء منها: ظلوم، وذلفاء، وسحر، وضياء، ونسرين، ونرجس... وهذا ما كان يحمل «فوزًا» على أن تحبس رسولها وكتبها عنه، لتثير حزنه وغضبه.

توفي في بغداد سنة ١٩٢هـ/٨٠٨م.

* * *

لوعة قلب

ألا أسْعِدِيني بالدُّموعِ السَّوَاكِبِ ... على الوَجْدِ من صَرْمِ الحبيبِ المُغاضِبِ

أراني أَبِيتُ اللَّيلَ صاحِبَ عَبْرَةٍ ... مَشُوقًا أرَاعِي مُنْجِداتِ الكَوَاكِبِ

رأت رَغْبَةً مِني فَأَبْدَتْ زَهَادَةً ... ألا رُبَّ مَحْرُومٍ مِنَ الناسِ رَاغِبِ

فَسُحِّي دُمُوعًا هَامِلَاتٍ كَأَنها ... لَهَا آمِرٌ بالفَيْضِ من تحتِ حَاجِبِ

أريدُ لأدْعو غيْرَها فَيَجُرني ... لِسَانِي إليها باسمِها كالمُغَالِبِ
يَظَلُّ لِسَاني يَشْتَكِي الشوقَ والهَوَى ... وقَلْبِي كَذِي حَبْسٍ لِقَتْلٍ مُرَاقِبِ
كَأنَّ بقلبِي كُلَّمَا هَاجَ شَوْقُهُ ... حَرَارَاتِ أقْبَاسٍ تَلُوحُ لِرَاهِبِ
وَلَوْ كَانَ قَلْبِي يَسْتَطِيعُ تَكَلُّمًا ... لَحَدَّثكُمْ عَنِّي بِكُلِّ العَجَائِبِ
كَتَبْتُ فَأكْثَرْتُ الكِتَابَ إلَيْكُمُ ... عَلَى رَغْبَةٍ حَتَّى لَقَدْ مَلَّ كَاتِبِي
أمَا تَتَّقِينَ اللهَ في قَتْلِ عَاشِقٍ ... صريعِ نحيلِ الجِسْمِ كَالخَيْطِ ذَائِبِ
فَأُقْسِمُ لَوْ أبْصَرْتِنِي مُتَضَرِّعًا ... أُقَلِّبُ طَرْفِي نَاظِرًا كُلَّ جَانِبِ
وَحَوْلِي مِنَ العُوَّادِ باكٍ وَمُشْفِقٌ ... أُبَاعِدُ أهْلِي كُلَّهُمْ وَأقَارِبِي
لأَبْكاكِ مِنِّي مَا تَرَيْنَ تَوَجُّعًا ... كَأنَّكِ بِي يَا فَوْزُ قَدْ قَامَ نَادِبِي
لَقَدْ قَالَ دَاعِي الحُبِّ هَلْ مِنْ مُجَاوِبٍ ... فَأقْبَلْتُ أسْعَى قَبْلَ كُلِّ مُجَاوِبِ
فَمَا إنْ لَهُ إلَّا إلَيَّ مَذَاهِبٌ ... تَكُوْنُ وَلَا إلَّا إلَيْهِ مَذَاهِبِي

* * *

هول الفراق

عَبِثَ الحبيبُ وكانَ مِنْهُ صُدودُ ... وَنَأَى ولَمْ أَكُ ذَاكَ مِنْهُ أُريدُ[1]
يُمسي ويُصبحُ مُعرِضًا متغضِّبًا ... وإذا قصَدتُ إليه فَهوَ يَحِيدُ
ويَضِنُّ عَنّي بالكلامِ مُصارِمًا ... وبمُهجتي وبما يُريدُ أجودُ[2]
إنــي أُحَــاذِرُ صَــدَّه وفِـرَاقَــه ... إنّ الفِراقَ على المُحبّ شديدُ
يا مَن دَعَاني ثمّ أدبرَ ظالمًا ... إرجعْ وأنْتَ مُواصِلٌ مَحمودُ[3]
إنـي لأُكـثِرُ ذكـرَكُـمْ فَـكأنّـما ... بِعُرَى لساني ذِكرُكُمْ مَعقودُ

(١) الصدود: المنع.

(٢) يضنّ: يبخل. مصارمًا: مقاطعًا.

(٣) أدبر: ابتعد، ولّى.

أبكي لسُخْطِكِ حينَ أذكرُ ما مضَى ... يا لَيْتَ ما قَدْ فاتَ لي مَردودًا
لا تَقْتُليني بالجَفاء تَمادِيًا ... واعنَيْ بأمري إنّني مَجهودُ[1]
ما زَالَ حُبُّكِ في فُؤادي سَاكنًا ... ولَهُ، بِزَيدِ تنفُّسِي تَردِيدُ[2]
فَيَلِينُ طَورًا للرّجاء وتارةً ... يَشتدُّ بينَ جوانحي ويَزيدُ
حتى برَى جِسمي هواكِ فما تُرى ... إلّا عِظَامٌ يُبَّسٌ وَجُلُودُ
لا الحبُّ يَصرِفُهُ فُؤادي ساعةً ... عَنه ولا هو ما بقِيتُ يَبيدُ
وكأنّ حبّ النّاسِ عنديَ ساكنٌ ... وكأنّهُ بجوانحي مَشدودُ
أمْسَى فُؤادي عندَكمْ ومَحلُّهُ ... عندي فأينَ فُؤاديَ المفقودُ؟
ذَهَبَ الفُؤادُ فما أُحِسُّ حَسِيسَه ... وأظنُّه بوصالكمْ سيَعُودُ
واللهِ لا أبغي سِواكِ حبيبةً ... ما اخضرّ في الشّجَرِ المُوَرِّقِ عُودُ
للهِ دَرُّ الغانِياتِ جَفَونَني ... وأنا لَهنّ عَلى الجَفاء وَدودُ[3]
يَرعَينَ عهدي ما شَهِدتُ فإن أغبْ ... يومًا فما لي عندَهنّ عُهودُ

* * *

(١) مجهود: متعب.

(٢) الترديد: الترجيع.

(٣) الغانيات: ج الغانية، وهي الفتاة الحسناء التي استغنت بجمالها عن التزيّن. جفونني: ابتعدن عنّي.

أبو فراس الحمداني

هو الفارس والشاعر والأمير الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي. وُلد بالموصل سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م. قُتل والده وهو صغير، فنشأ في كنف ابن عمّه سيف الدولة أمير حلب. اتّصل بالعلماء والأدباء، وأخذ عنهم، وتدرّب على القتال والفروسيّة، فصحبه ابن عمّه في غزواته، وحارب الروم، فأظهر شجاعة ممّا حمل سيف الدولة على أن يأنس به، فولّاه إمارة منبج، وهو دون العشرين من العمر. وكانت هذه الإمارة من أخطر ثغور الدولة الحمدانيّة، فدافع أبو فراس عنها دفاع الأبطال إلّا أنّ الحظّ قد خانه ذات مرّة، فوقع أسيرًا لدى الروم، فساقوه إلى خرشنة، ثمّ إلى القسطنطينية، حيث طال أسره دون أن يفتديه ابن عمّه. وهناك نظم أروع أشعاره الوجدانيّة التي عرفت «بالروميات».

وبعد خروجه حصل تنافس بينه وبين ابن سيف الدولة، فقتله أحد أتباعه، وذلك سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٨م.

* * *

أراكَ عَصيَّ الدّمع

أراكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شيمتُكَ الصَّبْرُ   أما لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ[(١)]

بَلَى، أنا مُشْتَاقٌ وَعِنْديَ لَوْعَةٌ   وَلكِنَّ مِثْلي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرُّ

إذا الليلُ أَضْواني بَسَطْتُ يدَ الهَوَى   وأَذْلَلْتُ دَمْعًا مِنْ خَلائِقِهِ الكِبْرُ[(٢)]

تكادُ تُضِيءُ النارُ بين جَوانِحي   إِذا هِيَ أَذْكَتْهَا الصَّبابَةُ والفِكرُ[(٣)]

مُعَلِّلَتي بِالْوَصْلِ والموتُ دُونَهُ   إِذا بِتُّ ظَمْآنًا فَلَا نَزلَ القَطْرُ[(٤)]

حَفِظْتُ وَضَيَّعْتِ المودَّةَ بَيْنَنَا   وأَحْسَنُ من بعضِ الوَفاءِ لَكِ الغَدْرُ

وَما هذه الأيامُ إِلَّا صَحائفٌ   لِأَحْرُفِها، مِنْ كَفِّ كاتِبِها بَشْرُ

بِنَفْسي مِنَ الغادِينَ في الحَيِّ غادةٌ   هَوايَ لَها ذَنْبٌ، وبَهْجَتُها عُذْرُ

تَروغُ الى الواشِينَ فِيَّ، وإِنَّ لِي   لِأُذْنابِها عَنْ كُلِّ واشِيَةٍ وَقْرُ[(٥)]

بَدَوْتُ وَأَهلِي حاضِرونَ، لِأَنَّني   أَرَى أَنَّ دارًا لَسْتِ مِنْ أَهلِها قَفْرُ[(٦)]

وَحارَبْتُ قَوْمِي فِي هَواكِ، وَإِنَّهُمْ   وإِيَّايَ، لَوْلا حُبُّكِ، الماءُ وَالخَمْرُ

فَإِنْ يَكُ ما قالَ الوشاةُ ولم يَكُنْ   فَقَدْ يَهْدِمُ الإِيمانُ ما شَيَّدَ الكُفْرُ

وَفَيتُ وفي بَعْضِ الوَفاءِ مَذَلَّةٌ   لِإِنسانَةٍ في الحَيِّ شِيمَتُها الغَدْرُ[(٧)]

وقورٌ، وَرَيْعانُ الصِّبَا يَسْتَفِزُّهَا   فَتَأْرَنُ أَحْيانًا كَمَا أَرِنَ المُهْرُ[(٨)]

تُسائِلُني: مَنْ أَنْتَ؟ وهي عليمةٌ   وَهَلْ بِفَتًى مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ

---

(١) شيمَتُكَ: طَبْعُكَ وخُلُقكَ.

(٢) أَضْواني: عذَّبني وشجاني. خَلائِقُهُ: جَمع خليقة وهي الطبع والصفة المميِّزة.

(٣) أَذْكَتْها: أَشْعَلَتْها.

(٤) مُعَلِّلَتي بالوصل: من تبسط لي الآمال في الوصل. القطر: المطر.

(٥) تروغ: تميل وتستمع. وَقْر: صمم.

(٦) بدوت وأهلي حاضرون: اختلَفَتْ حياتي عن حياة قومي. انصرفتُ عنهم ومِلْتُ إليكِ.

(٧) شيمتها: طبيعتها وخُلُقها.

(٨) أَرِنَ: نشط ومرح.

فَقُلْتُ لَهَا: لو شِئتِ لم تَتَعَنَّتي ... وَلَـمْ تَسأَلِي عَنّي، وَعِنْدَكِ بِي خُبْرُ[1]

فَقالَتْ: لَقَدْ أَزْرَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنا ... فَقُلْتُ: مَعاذَ اللهِ بَلْ أَنتِ لا الدَّهْرُ[2]

وَمَا كانَ لِلأحْزانِ لَوْلاكِ مَسْلَكٌ ... إلى القَلْبِ، لكِنَّ الهَوَى لِلْبِلَى جِسْرُ

وَتَهْلُكُ بَيْنَ الهَزْلِ وَالجِدِّ مُهْجَةٌ ... إذا مَا عَداهَا البَيْنُ عَذَّبَها الهَجْرُ[3]

فَأَيْقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدي لِعاشِقٍ ... وَأَنَّ يَدي مِمَّا عَلقتُ بِهِ صِفْرُ[4]

وقَلَّبْتُ أَمْري لا أَرَى لِيَ رَاحةً ... إذا البَيْنُ أَنساني أَلَحَّ بيَ الهَجْرُ

فَعُدْتُ إلى حُكْمِ الزَمانِ وَحُكْمِها ... لها الذَّنْبُ لا تُجْزَى بِهِ وَلي العُذْرُ

فلا تُنْكِريني يا ابنةَ العَمِّ، إنَّه ... ليعرِفُ مَنْ أَنْكَرْتِهِ البَدْوُ وَالحَضرُ

ولا تُنْكِريني، إِنَّني غير مُنكَرٍ ... إذا زَلَّتِ الأقدامُ، واسْتُنْزِلَ النَّصْرُ

وإِنّـي لَـجَـرّارٌ لِـكُـلِّ كـتـيـبةٍ ... مُعوَّدَةٍ أَنْ لا يُخِلَّ بِها النَّصْرُ

وإِنّـي لَـنَـزَّالٌ بِـكُـلِّ مَـخـوفَـةٍ ... كَثِيرٌ إلى نُزّالِها النَّظَرُ الشزْرُ[5]

فَأَظمأُ حتى ترتوي البيضُ والقَنا ... وأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الذِّئبُ والنَّسْرُ[6]

ولا أُصْبِحُ الحَيَّ الخلوفَ بِغارَةٍ ... ولا الجيشَ، ما لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِيَ النُّذْرُ

ويا رُبَّ دارٍ لم تَخَفْني منيعَةٍ ... طَلَعْتُ عَلَيها بالرَّدَى أنا والفَجْرُ

وحيٍّ رَدَدْتُ الخَيْلَ حَتّى مَلَكْتُهُ ... هَزيمًا، وَرَدَّتْني البَراقِعُ والخُمْرُ[7]

وَساحِبَةِ الأَذْيالِ نَحْوي لَقِيتُها ... فَلَمْ يَلْقَها جافِي اللِّقاءِ وَلا وَعْرُ

وَهَبْتُ لَها مَا حازَهُ الجَيْشُ كُلّه ... وَرُحْتُ ولم يُكْشَفْ لِأَبياتِها سِتْرُ

---

(١) التعنُّت: طلب المشقة.

(٢) أزرى به: عابه ووضع من قيمته ومنزلته.

(٣) البين: الفراق والبعد.

(٤) صفر: خاوية فارغة.

(٥) النظر الشزر: النظر بجانب العين مع الإعراض أو الغضب.

(٦) البيض: السيوف. القنا: الرماح. أسغب: أجوع.

(٧) الخمر: جمع «خمار» وهو غطاء الرأس للمرأة.

ولا راحَ يَطْغِيني بِأَثوابِهِ الغِنَى ... ولا باتَ يَثْنِيني عَنْ الكَرَمِ الفَقْرُ[1]

وما حاجَتِي بِالمالِ أَبْغِي وُفورَهُ ... إذا لم أَصُنْ عِرْضي فَلا وَفَرِ الوَفْرُ

أُسِرْتُ وما صَحْبي بِعُزْلٍ لَدَى الوَغَى ... وَلا فَرسِي مُهْرٌ ولَا رَبُّهُ غِمْرُ[2]

وَلَكِنْ إِذا حُمَّ القَضاءُ عَلى امْرِئٍ ... فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ[3]

وَقالَ أُصَيْحابِي: الفرارُ أَو الرَّدَى؟ ... فَقُلْتُ: هُما أَمْرانِ أَحْلاهُمَا مُرُّ

وَلَكِنَّنِي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِيبُنِي ... وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَينِ خَيْرُهُما الأَسْرُ

يَقولونَ لي: بِعْتَ السلامَةَ بالرَّدَى ... فَقُلْتُ: أَما وَاللهِ، ما نالَني خُسْرُ

وَهَلْ يَتَجافَى عَنِّيَ الموتُ ساعة ... إذا ما تَجافَى عَنِّيَ الأَسْرُ وَالضُّرُّ؟

هُوَ الموتُ فَاخْتَرْ ما عَلاَ لَكَ ذِكْرُهُ ... فَلَمْ يَمُتِ الإِنْسانُ ما حَيِيَ الذِّكْرُ

ولا خَيْرَ في دَفعِ الرَّدَى بِمَذَلَّةٍ ... كَمَا رَدَّها يَوْمًا بِسوءَتِهِ عَمْرُو[4]

يَمُنُّونَ أَنْ خَلُّوا ثِيابي، وَإِنَّما ... عَلَيَّ ثِيابٌ مِنْ دِمائِهِمُ حُمْرُ

وَقائِمُ سَيفٍ فَيهِمُ دُقَّ نَصْلُهُ ... وأَعْقابُ رمحٍ فِيهِ قَدْ حُطِّمَ الصَّدْرُ

سَيَذْكُرُني قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُم ... وَفي الليلةِ الظَّلْماءِ يُفتقَدُ البَدْرُ

فَإِنْ عِشْتُ، فَالطَّعْنُ الذي يَعْرِفُونَهُ ... وَتِلْكَ القَنا والبيضُ والضُمَّرُ الشُقْرُ[5]

وإِنْ مِتُّ فَالإِنسانُ لا بُدَّ مَيِّتٌ ... وإِنْ طالَتْ الأَيَّامُ وانْفَسَحَ العُمْرُ[6]

---

(١) يثنيني: يمنعني.

(٢) العُزْل: جمع أعزل، الذي لا سلاح معه. الغمر: الجاهل، غير المُجَرَّب.

(٣) إذا حُمَّ القضاءُ على امرئ: إذا حانتْ ساعته، أي موته.

(٤) السّوءة: الفعلة القبيحة التي تجلب المذلة والعار. يشير إلى عمل عمرو بن العاص عندما دفعه دهاؤه إلى كشف سوءته وقت مبارزته للإمام عليّ بن أبي طالب، فاضطرّ الإمام إلى إشاحة وجهه، لأنّه – كرّم الله وجهه – لم ينظر إلى سوءة في حياته.

(٥) القنا: الرماح. البيض: السيوف. الضمّر الشقر: الجياد الضامرة الشقراء اللون، كناية عن سرعتها الفائقة وكرم عنصرها.

(٦) انفسح العمر: امتدّ الأجل.

وَلَوْ سَدَّ غَيري مَا سَدَدْتُ اِكْتَفوا بِهِ وَمَا كانَ يَغْلو التِّبْرُ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ[1]
ونحنُ أُناسٌ لا توسُّطَ بَيْنَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ العالَمينَ أَوِ القَبْرُ[2]
تَهونُ عَلَيْنا في المَعالِي نُفوسُنا وَمَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا المَهْرُ
أَعَزُّ بَني الدُّنْيَا وأَعْلَى ذَوي العُلَا وأَكْرَمُ مَنْ فوقَ الترابِ ولا فَخْرُ[3]

* * *

يا حسرة

يا حَسْرَةً ما أكادُ أحمِلُها آخرُها مُزْعِجٌ وأوّلُها
عليلةٌ بالشآمِ مُفْرَدةٌ باتَ بأيدي العدى معلِّلُها[4]
تُمْسِكُ أحشاءها على حُرَقٍ تُطفِئُها والهمومُ تُشعِلُها[5]
إذا اطمأنّتْ، وأينَ، أو هَدَأَتْ عنّتْ لها ذُكرةٌ تُقَلْقِلُها[6]
يا أيّها الراكبانِ هَلْ لكما في حَمْلِ نَجْوى يَخِفُّ مَحْمَلُها[7]
قُولا لها إن وَعَتْ مقالَكما وإنّ ذكري لها لَيُذهِلُها[8]
يا أمّتا هذهِ منازِلُنا نتركُها تارةً وننزِلُها[9]

(١) التبر: الذهب. الصفر: النحاس.

(٢) الصدر: الصدارة والرئاسة والسيادة.

(٣) من فوق التراب: الناس جميعًا.

(٤) عليلة: أي مريضة والمقصود أمّه. المعلّل: المعزّي، والمقصود هو نفسه.

(٥) الحرق: ج الحرقة، وهي ألم النفس.

(٦) عنت: ظهرت. الذكرة: الذكرى. تقلقلها: تحزنها.

(٧) الراكبان: المسافران. ومن عادة الشعراء مخاطبة الاثنين. النجوى: هنا الرسالة الشفويّة.

(٨) وعت مقالكما: أي فهمت كلامكما. يذهلها: يفقدها الوعي.

(٩) في هذا البيت إشارة إلى أنّ الحياة لا تستقرّ على حال، وأنّهم فيها بين إقامة ورحيل.

يا أمّتا هذهِ مواردُنا نَعَلُّها تارةً ونَنهلُها[1]
أسْلَمَنا قومُنا إلى نُوَبٍ أيسَرُها في القلوبِ أقتلُها[2]
واسْتَبْدَلُوا بَعْدَنا رجالَ وغًى يَوَدُّ أدنى عُلايَ أمثَلُها[3]
يا سيّدًا لا تُعَدُّ مكرُمَةٌ إلّا وفي راحتَيْهِ أكمَلُها[4]
ليستْ تنالُ القيودُ من قدمي وفي اتّباعي رضاكَ أحملُها[5]
أنتَ سماءٌ ونحنُ أنجمُها أنتَ بلادٌ ونحنُ أجبُلُها
أنتَ سحابٌ ونحن وابلُه أنت يَمينٌ ونحن أَنمُلُها[6]
بأيِّ عُذْرٍ ردَدْتَ والهةً عليكَ دون الورى مُعَوَّلُها[7]
جاءتْكَ تمتاحُ ردَّ واحدِها ينتظرُ الناسُ كيف تُقْفِلُها[8]
سَمَحْتُ منّي بمهجةٍ كَرُمَتْ أنت على يأسِها مؤمّلُها[9]
إنْ كنتَ لم تبذلِ الفداءَ لها فلم أزلْ في رضاكَ أبذُلُها
تلك المودّاتُ كيف تُهملُها تلك المواعيدُ كيف تغفلها
أين المعاني التي عُرفتَ بها تقولُها دائمًا وتفعلُها
يا واسعَ الدارِ كيف توسعُها ونحن في صخرة نزلزلُها
يا ناعمَ الثوبِ كيف تُبْدِلُه ثيابُنا الصوفُ ما نبدّلُها

(١) نعلّها: نشربها بشكل متقطّع. ننهلها: نشربها بشكل متواصل.
(٢) النوب: المصائب. أيسرها: أخفّها.
(٣) الوغى: الحرب. أمثلها: أفضلها.
(٤) الراحتان: مثنّى الراحة، وهي باطن الكف. أكملها: أتمّها.
(٥) تنال من قدمه: أي تصيبها بأذى.
(٦) الوابل: المطر. الأنمل: الأصابع.
(٧) الوالهة: الشديدة الحزن، والمقصود أمّه. الورى: الناس. دون الورى: أي بين الناس. عليك معوّلها: عليك اعتمادها.
(٨) تمتاح: تسأل. تُقفلها: تُرجعها.
(٩) المهجة: النفس.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا راكب الخيلِ لو بَصُرْتَ بنا نحملُ أقيادَنا وننقلُها[1]

رأيتَ في الضُّرِّ أوجهًا كَرُمَتْ فارق فيك الجمالُ أجملُها[2]

قد أثَّرَ الدَّهرُ في محاسنها تَعْرِفُها تارةً وتَجْهَلُها

* * *

مصابي جليل

مُصابي جليلٌ والعزاءُ جميلُ وظنّي بأنَّ الله سوفَ يُديلُ[3]

جِرَاحٌ وأسرٌ واشتياقٌ وغربةٌ أُحَمَّلُ إنّي بعدها لَحَمولُ

وإنّيَ في هذا الصباحِ لصالحٌ ولكنّ خطبي في الظلام جليلُ[4]

وما نالَ منّي الأسْرُ ما تريانِهِ ولكنّني دامي الجراحِ عليلُ

جراحٌ تحاماها الأساةُ مخوفةٌ وسُقمان: بادٍ منهما ودخيلُ[5]

وأسرٌ أُقاسيهِ وليلٌ نجومُهُ أرى كلَّ شيءٍ غيرهنّ يزولُ

تطولُ بيَ الساعاتُ وهْي قصيرةٌ وفي كلِّ دهرٍ لا يسرُّك طولُ

تناسانيَ الأصحابُ إلّا عُصَيْبَةً ستلحقُ بالأخرى غدًا وتزولُ[6]

فمن ذا الذي يبقى على العهدِ منهُم وإن كثُرتْ دعواهمُ لقليلُ

أُقلِّبُ طرفي لا أرى غير صاحبٍ يَميلُ مع النعماءِ حيث تميلُ[7]

وصِرْنا نَرَى أنّ المُتاركَ مُحْسِنٌ وأنّ خليلًا لا يَضُرُّ خليلُ

---

(١) الأقياد: ج القيد.

(٢) الضرّ: العذاب.

(٣) يديل: يبدّل.

(٤) الخطب: المصيبة الكبرى.

(٥) الأساة: ج الآسي، وهو الطبيب.

(٦) عصيبة: جماعة قليلة.

(٧) النعماء: أي الخير والمنفعة.

وليس زماني غادرٌ بي وحدَهُ ... ولا صاحبي دون الرجالِ ملولُ
تصفّحتُ أقوالَ الرجالِ فلم يكن ... إلى غير شاكٍ في الزمان وُصُولُ
أكلُّ خليلٍ أنكَدٌ غير مُنْصِفٍ؟ ... وكلُّ زمانٍ بالكرامِ بخيلُ
نعم دعتِ الدنيا إلى الغدر دعوةً ... أجاب إليها: عالِمٌ وجهولُ
وقبليَ كان الغدرُ في الناس شيمةً ... وذُمَّ زمانٌ واستلام خَليلُ[1]
وفارق عمرو بن الزبير شقيقَهُ ... وخلّى أميرَ المؤمنين عقيلُ[2]
فيا حسرتا من لي بخلٍّ موافقٍ ... أقول بشجوي مرّة ويقولُ
وإن وراء الستر أُمًّا بكاؤها ... عليّ وإن طالَ الزمانُ طويلُ
فيا أمّتا لا تعدمي الصبرَ إنَّهُ ... إلى الخير والنُجْحِ القريبِ رسولُ
ويا أمّتا لا تُخْطِئي الأجر إنّهُ ... على قَدَرِ الصبر الجميلِ جزيلُ
ويا أمّتا صبرًا فكُلُّ مُلِمَّةٍ ... تجلّى على علّاتها وتزولُ[3]
تأسّي كفاكِ اللهُ ما تحذرينَهُ ... فقد غالَ هذا الدهرَ قبلكِ غولُ
وكوني كما كانت بأُحْدٍ صفيّةٌ ... ولم يُشفَ منها بالبكاء غليلُ[4]
ولو ردَّ يومًا حمزةَ الخَيْرِ حُزْنُها ... إذًا ما علَتْها رنّةٌ وعويلُ
وما أثَري يوم اللقاءِ مذمَّمٌ ... ولا موقفي عند الإسار ذليلُ
لقيتُ نجومَ الليلِ وهي صوارمٌ ... وخُضْتُ سواد الليلِ وهو يَهولُ
ولم أرْعَ للنفس الكريمة خِلّةً ... عشيّةَ لم يَعْطِفْ عليَّ خليلُ
ولكن لقيتُ الموت حتى تركتُها ... وفيها وفي حدّ الحسامِ فلولُ[5]

---

(١) استلام: استحقّ اللوم. الخليل: الصديق الخالص.

(٢) كان عمرو بن الزبير مع بني أميّة ضدّ أخيه عبدالله، وكان عقيل بن أبي طالب، أخو الإمام عليّ، ضدّ أخيه في الخلافة..

(٣) الملمّة: المصيبة.

(٤) صفيّة: عمّة النبي (ﷺ)، وأخت حمزة.

(٥) الحسام: السيف. الفلول: الكسور في حدّ السيف.

ومن لا يوقِّ اللهُ فهو مُمَزَّقٌ ... ومَنْ لم يُعزَّ اللهُ فهو ذليلُ

إذا لم يُعِنْكَ اللهُ فيما تُريدُه ... فليسَ لِمخلوقٍ إليه سبيلُ

وإن هو لم يَنصُرْك لم تَلقَ ناصرًا ... وإن جَلَّ أنصارٌ وعَزَّ قبيلُ

إذا ما وَقَاكَ اللهُ أمرًا تخافُهُ ... فما لك ممّا تتّقيهِ مُقيلُ

وإن هو لم يَدْلُلْك في كلّ مسلكٍ ... ضَلَلْتَ ولو أنّ السّماكَ دليلُ[1]

وإنّ رجائيهِ وظنّي بفضلِهِ ... على قبحِ ما قدَّمْتُهُ لجميلُ

وما دام سيفُ الدولةِ القرمُ باقيًا ... فظلُّكَ فيّاحُ الجنابِ ظليلُ[2]

وما دام سيفُ الدولةِ القرمُ باقيًا ... يجود بتخليصي لكم ويُنيلُ

فإمّا حياةٌ في فِناهُ عزيزةٌ ... وإمّا مَماتٌ في ذراهُ جميلُ

* * *

الشاعر والحمامة

أقولُ وَقَدْ ناحتْ بقربي حمامةٌ ... أيا جارتا هَلْ تشعرين بحالي؟

معاذَ الهوى ما ذُقتِ طارقةَ النَّوى ... ولا خَطَرَتْ منكِ الهمومُ ببالي

أتَحمِلُ محزونَ الفؤادِ قوادِمٌ ... على غُصُنٍ نائي المسافة عالِ؟[3]

أجارتَنا ما أنصفَ الدهر بيننا ... تعالَيْ أقاسِمْكِ الهمومَ تعالِي

تعالَيْ تَرَيْ روحًا لديّ ضعيفةً ... تردَّدُ في جسمٍ يُعذَّبُ بالِ

أيَضْحَكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ ... وَيَسكُتُ محزونٌ وَيَنْدُبُ سالِ؟

لقد كُنْتُ أَوْلى منكِ بالدَّمْعِ مُقْلَةً ... ولكنَّ دَمْعي في الحوادِثِ غالِ

* * *

---

(١) السماك: كل ما رُفع.

(٢) القرم: السيّد العظيم.

(٣) القوادم: كبار الريش من جناح الطائر.

المتنبّي

هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي الملقّب بالمتنبي، ولد في كندة من أعمال الكوفة سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م في بيت فقير من أب يعمل سقّاءً في الكوفة، ويعرف بـ«عبدان السقّاء».

نشأ محبًا للعلم، فصحبه أبوه إلى الشام حيث درس على الأخفش، وابن دريد، والزجاج.

قضى حياته متنقّلاً من أمير إلى آخر، وخاصة بعد أن ذاق مرارة الحرمان والحاجة، يمدح هذا ويهجو ذاك إلى أن اتّصل بسيف الدولة أمير حلب، فقضى عنده حوالى تسع سنوات، وكان في أثنائها شاعره المفضّل، ولكن حسد الحسّاد اضطرّه إلى مغادرته والاتصال بكافور الإخشيدي الذي قضى عنده أربع سنوات تقريبًا، وغادره هاربًا من السجن، تاركًا وراءه قصيدة هجاء مقذعة.

كان المتنبّي سيّئ الحظّ كثير الحسّاد، شديد التذمّر، فاجأه فاتك الأسدي قرب الرصافة، فقتله مع ابنه وغلامه لأنّه كان قد هجا أخته. وكان ذلك سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م.

* * *

وصف الحمّى

قال يذكر حُمّى كانت تغشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة:

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ المَلَامِ وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ[1]

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامِ[2]

فَإِنِّي أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهٰذَا وَأَتْعَبُ بِالإِنَاخَةِ وَالمُقَامِ[3]

عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حِرْتُ عَيْنِي وَكُلُّ بُغَامِ رَازِحَةٍ بُغَامِي[4]

فَقَدْ أَرِدُ المِيَاهَ بِغَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدِّي لَهَا بَرْقَ الْغَمَامِ[5]

يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَيْفِي إِذَا احْتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الذِّمَامِ[6]

وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قِرًى سِوَى مُخِّ النِّعَامِ[7]

فَلَمَّا صَارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامِ[8]

وَصِرْتُ أَشُكُّ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ[9]

---

(١) ملومكما: يعني نفسه. والشاعر يخاطب صاحبيه. يجلّ: يرتفع. الفَعال: الأفعال.

(٢) ذراني: اتركاني. الفلاة: الصحراء. الهجير: حرّ منتصف النهار.

(٣) الإناخة: النزول. المُقام: الإقامة.

(٤) الرواحل: جمع الراحلة، وهي الناقة. بغام الناقة: صوت لا تفصح به.

(٥) يقول: لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل يدلّني سوى أن أعدّ بروق الغمام، وذلك أنّ العرب كانوا إذا لاح البرق عدّوا سبعين برقة: وقيل: مئة، فإذا كملت وثقوا بأنّ البرق برقٌ ماطر، فرحلوا يطلبون موضع الغيث.

(٦) يُذمّ: يُعطي الذمّة. يقول: لا أستصحب أحدًا في سفري لآمن بصحبته.

(٧) القِرى: طعام الضيوف. يقول: لا أُمسي ضيفًا للبخيل وإن لم يكن لي طعام ألبتّة، لأنّه لا مخّ للنعام.

(٨) الخبّ: الخداع.

(٩) أصطفيه: أصاحبه. الأنام: الناس.

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ[1]

وَآنَفُ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ

أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللِّئَامِ[2]

وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بِأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدٍّ هُمَامِ[3]

عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكَهَامِ[4]

وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذَرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ[5]

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا وَرَائِي تَخُبُّ بِيَ الْمَطِيُّ وَلَا أَمَامِي[6]

وَمَلَّنِيَ الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ

قَلِيلٌ عَائِدِي سَقِمٌ فُؤَادِي كَثِيرٌ حَاسِدِي صَعْبٌ مَرَامِي[7]

عَلِيلُ الْجِسْمِ مُمْتَنِعُ الْقِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ[8]

---

(١) الوسام: حسن الصورة. يقول: إنّ العاقل يحب من يحبّه لأجل صفاء الودّ بينهما، فمن أصفى له الودّ أحبّه، أمّا الجاهل فيحبّ على جمال الصورة.

(٢) يقول: إذا لؤمتِ الأخلاق، غلب اللؤمُ الأصلَ الطيّبَ الكريمَ، فيصبح صاحبها كريمًا، وإن كان من أصل كريم.

(٣) أُعزى: أُنسب. الهمام: الشجاع السخيّ. يقول: أنا فاضل بنفسي ولا أقنع بأن أُنسب إلى جدّ فاضل.

(٤) القد: القامة. الحد: حدّ السيف. والمقصود بـ«من له قّد وحدّ» الشاب الذي لم يهدمه الهرم. ينبو: لم يصب. القضم: السيف الذي فيه فلول. الكهام: الذي لا يقطع. يقول: عجبتُ لمن توافرت له قوّة الشباب وبأسه، ولا يكون نافذًا في الأمور.

(٥) يذر: يترك. المطيّ: الإبل. السنام: ما ارتفع من ظَهْر البعير. يقول: عجبت ممّن وجد الطريق إلى المعالي كيف لا يتعب مطاياه في هذه الطريق حتى تذهب أسنمتها.

(٦) تخبّ: تعدو.

(٧) عائدي: زوّاري في مرض. سقِم: مريض.

(٨) المدام: الخمرة.

وَزَائِـرَتِـي كَـأَنَّ بِـهَـا حَـيَـاءً ... فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ(١)

بَذَلْتُ لَهَا المطَارِفَ وَالحَشَايَا ... فَعَافَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي(٢)

يَضِيقُ ٱلْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا ... فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السِّقَامِ(٣)

إِذَا مَا فَارَقَتْنِي غَسَّلَتْنِي ... كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ(٤)

كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي ... مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةٍ سِجَامِ(٥)

أُرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ ... مُرَاقَبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ(٦)

وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصِّدْقُ شَرٌّ ... إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرَبِ الْعِظَامِ(٧)

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ ... فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ(٨)

جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ ... مَكَانٌ لِلسُّيُوفِ وَلَا السِّهَامِ

يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ: أَكَلْتَ شَيْئًا ... وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ

وَمَا فِي طِبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ ... أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ(٩)

تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبِّرَ فِي السَّرَايَا ... وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ(١٠)

---

(١) زائري: يقصد الحمّى.

(٢) المطارف: جمع مطرف، وهو نوع من اللباس. الحشايا: جمع حشيّة، وهي ما حُشي من الفراش ليُجلس عليه.

(٣) السقام: الأوجاع ونحوها.

(٤) يقول: إنّه يعرف عند فراقها، فكأنّها تغسله لعكوفها على ما يُوجب الغُسْل.

(٥) أربعة سجام: أربعة مجارٍ للدموع غزيرة.

(٦) يقول: إنه يراقب زيارتها خوفًا لا شوقًا.

(٧) الكُرب: المصائب.

(٨) بنت الدهر: المصيبة، ويقصد الحمّى هنا.

(٩) الجمام: الراحة.

(١٠) يُغبّر: يُثير الغبار. السرايا: جمع السريّة، وهي القطعة من الجيش. القتام: الغبار. وأراد بدخول القتام دخول الحرب.

فأمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَرْعَى ... وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللِّجَام

فَإِنْ أَمْرَضْ فَمَا مَرِضَ اصْطِبَارِي ... وَإِنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعتِزَامي[1]

وَإِنْ أَسْلَمْ فَمَا أَبْقَى وَلٰكِنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ[2]

* * *

رثاء جدته

أَلَا لَا أُرِي الأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا ... فَمَا بَطْشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمَا[3]

إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الفَتَى مَرْجِعُ الفَتَى ... يَعُودُ كَمَا أُبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أُرْمَى[4]

لَكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا ... قَتِيلَةِ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصْمَا[5]

أَحِنُّ إِلَى الكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا ... وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا[6]

بَكَيتُ عَلَيْهَا خِيفَةً فِي حَيَاتِها ... وَذَاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهِ قِدْمَا[7]

وَلَوْ قَتَلَ الهَجْرُ المُحِبِّينَ كُلَّهُمْ ... مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدَّتْ لَهُ صَرْمَا[8]

عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعَتْ بِنَا ... فَلَمَّا دَهَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمَا[9]

مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا ... تَغَذَّى وَتَرْوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَا[10]

---

(١) أُحمم: أصاب بالحُمّى.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) البطش: الأخذ بغلبة وقوة. الأحداث: مصائب الدهر.

(٤) أكرى الشيء: نقض. أرمى: أربى وزاد.

(٥) الوصم: العار.

(٦) الكأس: يعني به الموت. مثواها: مقامها أي القبر.

(٧) الثكل: الفقد. قدما: قديما.

(٨) أجدّ: جدد. الصرم: القطيعة.

(٩) عرفت الليالي أي كنت عالمًا بها وتفريقها بين الأحبة.

(١٠) يعني أن منافع الليالي في مضرة غيرها من الناس.

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ ... فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتُّ بِهَا غَمًّا[1]

حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنَّنِي ... أَعُدُّ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا[2]

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِّي وَلَفْظِي كَأَنَّهَا ... تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمَا[3]

وَتَلْثِمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادُهُ ... مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنْيَابَهَا سُحْمَا[4]

رَقَا دَمْعُهَا الجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا ... وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَمَا أَدْمَى[5]

وَلَمْ يُسْلِهَا إِلَّا المَنَايَا وَإِنَّمَا ... أَشَدُّ مِنَ السُّقْمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمَا[6]

طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَتْ وَفَاتَنِي ... وَقَدْ رَضِيَتْ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمَا

فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الغَمَامَ لِقَبْرِهَا ... وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الوَغَى وَالقَنَا الصُّمَّا[7]

وَكُنْتُ قُبَيْلَ المَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى ... فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتِ العُظْمَى[8]

هَبِينِي أَخَذْتُ الثَّأْرَ فِيكِ مِنَ العِدَا ... فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِ فِيكِ مِنَ الحُمَّى[9]

وَمَا انْسَدَّتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضِيقِهَا ... وَلَكِنَّ طَرْفًا لَا أَرَاكِ بِهِ أَعْمَى[10]

فَوَا أَسَفَا أَنْ لَا أُكِبَّ مُقَبِّلًا ... لِرَأْسِكِ وَالصَّدْرِ اللَّذَيْ مُلِئَا حَزْمَا[11]

---

(١) الترحة: الحزن يعني أن الحزن اشتد عليه فكأنه مات بها غمًّا.

(٢) يقول أن السرور حرام عليه فأنه بعد موت جدته يعده سمًّا فيتجنبه ويحرمه على نفسه.

(٣) الأغربة: جمع غراب. والعصم: جمع أعصم وهو الذي في جناحه بياض والغراب الأعظم نادر الوجود.

(٤) المحاجر: ما حول العينين. سحما: سودا.

(٥) رقأ الدمع والدم: انقطع.

(٦) المنايا: الموت. السقم: المرض الشديد.

(٧) استسقى: طلب السقيا (الماء). الغمام: السحاب. الوغى: الحرب. القنا: الرماح. الصم: الصلاب.

(٨) النوى: البعد.

(٩) يتساءل المتنبي كيف باستطاعته أن يأخذ ثأرها من العلة التي قتلتها.

(١٠) لقد أصبح كالأعمى لفقدها فانسدت عليه المسالك وضاقت الدنيا.

(١١) أكبّ: انكب أي إنحنى على وجهه. اللّذَي: اللذين.

وَأَنْ لَا أُلَاقِي رُوحَكِ الطَّيِّبَ الَّذِي ... كَأَنَّ ذَكِيَّ المِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمَا[1]

وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِدٍ ... لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِي أُمَّا[2]

لَئِنْ لَذَّ يَوْمُ الشَّامِتِينَ بِيَومِهَا ... فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِم رَغْمَا[3]

تَغَرَّبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ... وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمَا[4]

وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عَجَاجَةٍ ... وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ طَعْمَا[5]

يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْمَى[6]

كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنَّنِي ... جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ اليُتْمَا[7]

وَمَا الجَمْعُ بَيْنَ المَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي ... بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الجَدَّ وَالفَهْمَا[8]

وَلَكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ... وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الغَشْمَا[9]

وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي ... وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ البَطَلَ القَرْمَا[10]

إِذَا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدًى خَوْفُ بُعْدِهِ ... فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمْكِنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا[11]

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا ... بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالعَظْمَا[12]

---

(١) المسك: نبات ذكي وشديد الرائحة.

(٢) الضخم: العظيم والجدة تسمى أمًا.

(٣) لذّ: طاب. الشامت: الفرح بمصيبة عدوه. بيومها: يوم موتها. رغما: الرغام. التراب: أي الذل والقهر.

(٤) تغرّب: أي خرج عن بلاده إلى الغربة.

(٥) العجاجة: الغبار.

(٦) ما أنت: ما أنت صانع.

(٧) اليتما: اليتم.

(٨) الجد: الحظ والبخت.

(٩) بذبابة: ذباب السيف أي حدّه. الغشم: الظلم.

(١٠) القرم في الأصل: البعير الذي لا يحمل عليه وإنما يعدّ للفحلة. وهو هنا السيد.

(١١) فل السيف: ثلمة استعاده للعزم على تشبيهه بالسيف. المدى: الغاية.

(١٢) الأنف: الإستنكاف من الشيء.

كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتِ فَاْذْهَبِي وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَائِهِهَا قُدْمَا[1]
فَلاَ عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا

* * *

(١) الكرائه: جمع كريهة.

ابن الروميّ

هو أبو الحسن عليّ بن العبّاس بن جُريج (٢٢١هـ/ ٨٣٥م - ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م). ولد في بغداد من أب روميّ، وأمّ فارسيّة. أكبّ على تحصيل العلم حتّى استقامت له ثقافة واسعة من لغة وأدب وفلسفة ودين. توالت المِحَن عليه، فمات والده وهو حَدَث، ومات أخوه في شبابه، ومات أبناؤه الثلاثة، وماتت زوجته، والتهمت النيران بعض أملاكه، واغتصب الظلم البعض الآخر.

له ديوان ضخم من الشعر عالج فيه جميع الموضوعات الشائعة عند العرب. وفي الرثاء يندفق ابن الروميّ اندفاقًا لأنّه يرثي من يحبّ، ويرثي في حالة من الانفعال شديدة، وفي حالة من الحزن المتجمّع المتراكم شديدة أيضًا. وكان يخاطب الميت في لهفة المحبّة ولوعة الفراق، ويسكب نفسه عليه حسرة، ويُفصّل ما يعانيه من شقاء بعد فراقه، فيذكر آلامه، ووحشته، وسهره في ظلمات الليالي، ودموعه المتساقطة في غزارة وحرارة، ويذكر كيف مات الفقيد، وكيف زالت بالموت صفاته، فيتحسّر عليها تحسّرًا يكسر القلب، وقد يخاطب تلك الصفات، ويذرف عليها العبرات، والذي يقرأ شعره يحزن للشاعر وسوء حاله أكثر مِمّا يحزن للفقيد.

* * *

رثاء ولده الأوسط

بُكَاؤُكُمَا يَشْفِي، وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي، فَجُودَا، فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِي[1]

أَلَا قَاتَلَ ٱللهُ ٱلْمَنَايَا وَرَمْيَهَا، مِنَ ٱلْقَوْمِ، حَبَّاتِ ٱلْقُلُوبِ، عَلَى عَمْدِ

تَوَخَّى حِمَامُ ٱلْمَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي، فَلِلَّهِ، كَيْفَ ٱخْتَارَ وَاسِطَةَ ٱلْعِقْدِ[2]

عَلَى حِينَ شِمْتُ ٱلْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ، وَآنَسْتُ مِنْ أَفْعالِهِ آيَةَ ٱلرُّشْدِ[3]

طَوَاهُ ٱلرَّدَى عَنِّي، فَأَضْحَى مَزَارُهُ بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ، قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ

لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيهِ ٱلْمَنَايَا وَعِيدَهَا، وَأَخْلَفَتِ ٱلآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ

لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ ٱلْمَهْدِ وَٱللَّحْدِ لُبْثُهُ، فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ ٱلْمَهْدِ، إِذْ ضُمَّ فِي ٱللَّحْدِ

أَلَحَّ عَلَيْهِ ٱلنَّزْفُ، حَتَّى أَحَالَهُ إِلَى صُفْرَةِ ٱلْجَادِيِّ عَنْ حُمْرَةِ ٱلْوَرْدِ[4]

وَظَلَّ عَلَى الأَيْدِي تَسَاقَطُ نَفْسُهُ، وَيَذْوِي كَمَا يَذْوِي ٱلْقَضِيبُ مِنَ ٱلرَّنْدِ[5]

فَيَا لَكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقَطُ أَنْفُسًا تَسَاقُطَ دُرٍّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عَقْدِ

عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلصَّلْدِ[6]

وَمَا سَرَّنِي أَنْ بِعْتُهُ بِثَوَابِهِ وَلَوْ أَنَّهُ ٱلتَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ ٱلْخُلْدِ

وَلَا بِعْتُهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غُصِبْتُهُ وَلَيْسَ عَلَى ظُلْمِ ٱلْحَوَادِثِ مِنْ مُعْدِ[7]

وَإِنِّي وَإِنْ مُتِّعْتُ بِٱبْنَيَّ بَعْدَهُ لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ ٱلنِّيبُ فِي نَجْدِ[8]

وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ ٱلْجَوَارِحِ أَيُّهَا فَقَدْنَاهُ كَانَ ٱلْفَاجِعَ ٱلْبَيِّنَ ٱلْفَقْدِ

---

(١) بكاؤكما: خطاب لعينيه.

(٢) واسطة العقد: الجوهرة التي في وسطه.

(٣) شمت: رأيت. آنست: نظرت. الآية: العلامة.

(٤) الجادي: الزعفران.

(٥) يذوي: يذبل. الرند: شجر طيب الرائحة.

(٦) ينفطر: ينشق. الصلد: الصلب.

(٧) المعدي: المعين.

(٨) النيب: ج ناب وهي الناقة المسنة.

لِكُلٍّ مَكَانٌ لَا يَسُدُّ ٱخْتِلَالَهُ   مَكَانُ أَخِيهِ مِنْ جَزُوعٍ وَلَا جَلْدِ[(١)]

هَلِ العَيْنُ بَعْدَ ٱلسَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ   أَمِ ٱلسَّمْعُ بَعْدَ ٱلْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي

لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِيَ ٱلْحَالُ بَعْدَهُ   فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي

ثَكِلْتُ سُرُورِي كُلَّهُ إِذْ ثَكِلْتُهُ   وَأَصْبَحْتُ فِي لَذَّاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدِ[(٢)]

أَرَيْحَانَةَ ٱلْعَيْنَيْنِ وَٱلْأَنْفِ وَٱلْحَشَا   أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرْتَ عَنْ عَهْدِي

سَأَسْقِيكَ مَاءَ ٱلْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ   وَإِنْ كَانَتِ ٱلسُّقْيَا مِنَ ٱلْعَيْنِ لَا تُجْدِي[(٣)]

أَعَيْنَيَّ جُودَا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى   بِأَنْفَسَ مِمَّا تَسْأَلَانِ مِنَ ٱلرِّفْدِ[(٤)]

كَأَنِّيَ مَا ٱسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ   وَلَا شَمَّةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدِ

أُلَامُ لِمَا أُبْدِي عَلَيْكَ مِنَ ٱلأَسَى   وَإِنِّي لَأُخْفِي مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أُبْدِي

مُحَمَّدُ، مَا شَيْءٌ تُوُهِّمَ سَلْوَةً   لِقَلْبِيَ إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ ٱلْوَجْدِ

أَرَى أَخَوَيْكَ ٱلْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا   يَكُونَانِ لَلأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ ٱلزَّنْدِ[(٥)]

إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّعَا   فُؤَادِي بِمِثْلِ ٱلنَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ

فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بَلْ حَرَارَةٌ   يَهِيجَانِهَا دُونِي وَأَشْقَى بِهَا وَحْدِي

وَأَنْتَ وَإِنْ أُفْرِدْتَ فِي دَارِ وَحْشَةٍ   فَإِنِّي بِدَارِ الأُنْسِ فِي وَحْشَةِ ٱلْفَرْدِ

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ مِنِّي تَحِيَّةً   وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ ٱلْبَرْقِ وَٱلرَّعْدِ

* * *

(١) الجزوع: الفاقد الصبر.

(٢) ثكلت: فقدت.

(٣) أسعدت بالدمع: ساعدت.

(٤) الرفد: الجود والعطاء.

(٥) أورى: أكثر إيقادًا وإشعالًا. الزند: حديدة من فولاذ تضرب بحجر صوان فينقدح النار.

الباب السادس:

من الشعر الوجدانيّ
في العصر الأندلسيّ



ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله المعروف بـ«ابن زيدون». ولد بقرطبة سنة ٣٩٤هـ/ ١٠٩٣م . أحبَّ الأدب، ودرس على علماء قرطبة وأدبائها، وكانوا كثرًا. فحفظ الكثير من الشعر والأخبار والسير والحكم والأمثال. ومال إلى اللهو والطرب شأن أهلها، وكان خفيف الظلّ ممّا أكسبه شهرة واسعة في مجالس الأدب والطرب، أسهم بانقلاب الدولة الأمويّة في الأندلس، فقام على أنقاضها دولة بني جهور، ثمّ أصبح وزيرًا في هذه الدولة، ولقّب بذي الوزارتين. ولكن الحسّاد أوغروا صدر الأمير عليه، فألقاه في السجن. ثم هرب واختفى. . . مستجيرًا بابن الأمير. ولمّا تولّى مكان أبيه، عاد واستوزره من جديد، لكنه لم يؤمن كيد الحسّاد، فهرب إلى إشبيلية حيث بنو العباد، فاستوزروه، وعاد معهم إلى قرطبة لما استولوا عليها، وجعلوها مقرًّا لحكمهم. ولعلّ أهمّ حدث في حياته هو حبّه لولّادة بنت المستكفي آخر خلفاء بني أميّة، وكانت شاعرة وأديبة، وقد نافسه في حبّه ابن عبدوس، وهذه المنافسة كانت سببًا لحبسه ونظمه أشهر قصائده.

توفي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م.

* * *

أضحى التنائي

أضْحَى التّنائي بَديلاً مِنْ تَدانِينَا، وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيانَا تَجافِينَا
ألّا! وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبَّحَنا حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ ناعينا[1]
مَنْ مُبْلِغُ المُلْبِسِينا، بانتزَاحِهِمُ، حُزْنًا، مَعَ الدّهرِ لا يَبْلى ويُبْلِينَا
أنّ الزّمانَ الذي ما زالَ يُضْحِكُنا أُنْسًا بقُرْبِهِمُ، قَدْ عادَ يُبكِينَا
غِيظَ العِدا مِنْ تَساقِينا الهوَى فدعَوْا بِأنْ نَغَصَّ، فَقالَ الدّهرُ: آمِينَا
فَانحَلّ ما كانَ مَعقُودًا بأنْفُسِنَا وَانْبَتّ ما كانَ مَوْصُولًا بأيْدِينَا[2]
وَقَدْ نَكُونُ، ومَا يُخشَى تَفَرّقُنا فاليَوْمَ نَحنُ، وَما يُرْجَى تَلاقِينَا
يا لَيتَ شِعرِي، ولم نُعتِبْ أعاديَكم هَلْ نَالَ حَظًّا منَ العُتبَى أعادينَا[3]
لم نَعتَقِدْ بَعدَكُم إلّا الوَفاءَ لكُمْ رَأيًا، وَلَمْ نَتَقَلّدْ غَيرَهُ دِينَا
ما حَقُّنا أن تُقِرّوا عَينَ ذِي حَسَدٍ بِنا، وَلا أن تَسُرّوا كاشِحًا فِينَا[4]
كُنّا نَرَى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُه، وَقَدْ يَئِسْنَا فَمَا لليأسِ يُغْرِينَا[5]
بِنْتُمْ وَبِنّا، فَما ابتَلّتْ جَوَانِحُنا شَوْقًا إلَيكُمْ، وَلا جَفّتْ مآقِينَا
نَكادُ، حِينَ تُنَاجِيكُمْ ضَمائرُنا، يَقضي علَينا الأسَى لَوْلا تأسّينَا[6]
حَالَتْ لِفَقْدِكُمُ أيّامُنا، فغَدَتْ سُودًا، وكانتْ بكُمْ بِيضًا لَيَالِينَا[7]
إذْ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ من تألُّفِنا وَمَرْبَعُ اللّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

---

(١) الحَيْنُ: الهلاك.
(٢) انبَتّ: انقطع.
(٣) نُعتِبُ: نرضي. وقوله من العتبى: أي من عتباكم، رضاكم.
(٤) الكاشِحُ: المبغض.
(٥) نُرَى: نظن. يُغْرِينا: يولعنا.
(٦) الأسى: الحزن. التأسي: التعزي.
(٧) حَالَتْ: تغيرت.

وَإذْ هَصَرْنَا فُنُونَ الوَصْلِ دانِيَةً قِطافُها، فَجَنَيْنَا مِنْهُ ما شِينَا[1]

لِيُسقَ عَهدُكُمْ عَهدُ السّرُورِ فَما كُنْتُمْ لِأرْوَاحِنَا إلّا رَيَاحِينَا

لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يُغَيِّرُنا إذْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينَا

وَاللهِ مَا طَلَبَتْ أهْوَاؤنَا بَدَلًا مِنْكُمْ، وَلا انصرَفتْ عنكمْ أمانينَا

* * *

إن يطل ليلي

ودّعَ الصّبْرَ مُحِبٌّ وَدَّعَكْ ذائعٌ من سِرِّهِ ما استَوْدَعَكْ[2]

يَقْرَعُ السّنَّ على أن لَمْ يكنْ زاد في تلك الخطى إذْ شَيَّعَكْ[3]

يا أخا البدرِ سناءً وسنًا حفِظَ اللهُ زمانًا أطْلَعَكْ[4]

إن يَطُلْ بعدَك لَيْلِي فَلَكَمْ بِتُّ أشْكُو قِصَرَ اللّيلِ مَعَكْ

* * *

---

(١) هصر الغصن: جذبه وأماله.

(٢) ودّع الصبر: أي: نفد صبره.

(٣) يقرع السنّ: يحرّقها ندمًا.

(٤) السناء: الإشعاع.

ابن سهل

هو أبو إسحق إبراهيم بن سهل الإشبيلي، ولد في إشبيلية سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، وأقام في سبتة بالمغرب الأقصى. أحبّ الشعر وقرضه. وكان يهوديًا فأسلم. وقيل: كان مع والي سبتة (ابن خلاص) في زورق، فانقلب بهما فغرقا، وذلك سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م مخلّفًا وراءه ديوان شعر صغير يتيمّز بالرقّة والسهولة. من موشحاته:

هَلْ دَرَي ظَبْيُ الحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى   قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنَسِ[١]

فَهْوَ فِي حَرٍّ وَخَفْقٍ مِثْلَمَا   لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالقَبَسِ[٢]

* * *

يَا بُدُورًا أَطْلَعَتْ يَوْمَ النَّوَى   غُرَرًا تَسْلُكُ فِي نَهْجِ الغُرَرْ[٣]

مَا لِقَلْبِي فِي الهَوَى ذَنْبٌ سِوَى   مِنْكُمُ الحُسْنُ وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرْ

أَجْتَنِي اللَّذَّاتِ مَكْلُومَ الجَوَى   وَالْتِذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِالفِكَرْ[٤]

* * *

---

(١) حمى قلب صبّ: استقلّ به وحده. المكنس: مأوى الظبي. حلّه عن مكنس: أي حلّ في قلب الصب بدلًا من المكنس. الصب: العاشق.

(٢) القبس: النار.

(٣) النوى: البعد والافتراق. الغرة: بياض في الجبهة. الغرر: البياض.

(٤) المكلوم: الجريح. الجوى: شدّة الوجد.

كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجْدِي بَسَمَا كَالرُّبَى بِالْعَارِضِ المُنْبَجِسِ
إِذْ يُقِيمُ القَطْرُ فِيهَا مَأْتَمَا وَهْيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرُسِ

* * *

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالتُّؤَدَهْ بِأَبِي أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقْ
مَا رَأَيْنَا مِثْلَ ثَغْرٍ نَضَّدَهْ أُقْحُوَانًا عُصِرَتْ مِنْهُ رَحِيقْ[1]
أَخَذَتْ عَيْنَاهُ مِنْهُ العَرْبَدَهْ وَفُؤَادِي سُكْرُهُ مَا إِنْ يُفِيقْ[2]

* * *

فَاحِمُ الجُمَّةِ مَغْسُولُ اللَّمَى أَكْحَلُ اللَّحْظِ شَهِيُّ اللَّعَسِ[3]
وَجْهُهُ يَتْلُو الضُّحَى مُبْتَسِمَا وَهْوَ فِي إِعْرَاضِهِ فِي عَبَسِ[4]

* * *

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ ذُلِّي لَدَيْهْ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهْوَ المُذْنِبُ
أَخَذَتْ شَمْسُ الضُّحَى من وَجْنَتَيْهْ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبُ
ذَهَبَتْ أَدْمُعُ أَجْفَانِي عَلَيْهْ وَلَهُ خَدٌّ بِلَحْظِي مُذْهَبُ

* * *

يَنْبُتُ الوَرْدُ بِغَرْسِي كُلَّمَا لَاحَظَتْهُ مُقْلَتِي فِي الخُلَسِ
لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ شَيْءٍ حَرَّمَا ذَلِكَ الوَرْدَ عَلَى المُغْتَرِسِ؟

* * *

---

(١) نضّده: جمعه متناسقًا. الرحيق: الخمرة الصافية، أو الطيب.
(٢) العربدة: سوء الخلق.
(٣) الجُمة: الشعر. اللمة: سمرة الشفاه. اللعس: سواد في الشفة.
(٤) الضحى وعبس: من سور القرآن الكريم.

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرَقِي غَادَرَتْنِي مُقْلَتَاهُ دَنِفَا[1]
تَرَكَتْ أَلْحَاظُهُ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصَّفَا[2]
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِي لَسْتُ أَلْحَاهُ عَلَى مَا أَتْلَفَا[3]

* * *

فَهْوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَالخَرَسِ[4]
لَيْسَ لِي فِي الحُبِّ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلَّ النَّفَسِ

* * *

مِنْهُ لِلنَّارِ بِأَحْشَائِي اضْطِرَامْ يَلْتَظِي فِي كُلِّ حِينٍ مَا يَشَا
وَهْيَ فِي خَدَّيْهِ بَرْدٌ وَسَلَامْ وَهْيَ ضُرٌّ وَحَرِيقٌ فِي الحَشَا[5]
أَتَّقِي مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الغَرَامْ أَسَدَ الغَابِ وَأَهْوَاهُ رَشَا[6]

* * *

قُلْتُ لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعْلَمَا وَهْوَ مِنْ أَلْحَاظِهِ فِي حَرَسِ
أَيُّهَا الآخِذُ قَلْبِي مَغْنَمَا إِجْعَلِ الوَصْلَ مَكَانَ الخُمُسِ[7]

* * *

---

(١) الدنف: المعنّى، المريض.
(٢) الصفا: ج الصفاة، وهي الصخرة الملساء.
(٣) ألحاه: أبغضه.
(٤) العذول: اللائم.
(٥) الحشا: القلب.
(٦) الرشأ: الظبي الصغير.
(٧) الخمس: نصيب قائد الجيش من الغنيمة.

لسان الدين بن الخطيب

هو محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني الوزير والمؤرّخ والشاعر. وُلد بغرناطة سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م. كان وزيرًا لأبي الحجاج يوسف بن إسماعيل، ولمّا كثر حسّاده هرب إلى سبتة، ثم إلى تلمسان حيث أكرمه واليها السلطان عبد العزيز بن علي المريني. لقّب بذي الوزارتين (القلم والسيف)، كما لقب بذي العُمْرَيْن، لأنّه كان يشتغل بالتصنيف ليلاً، وبتدبير شؤون الوزارة نهارًا.

تعرّض كثيرًا للدسائس واتّهم بالزندقة وحبس، وأخيرًا مات خنقًا سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م تاركًا وراءه مؤلفات عدّة منها: «الإحاطة في تاريخ غرناطة» و«الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشيّة».

* * *

جادك الغيث

جَادَكَ الغَيْثُ إِذَا الغَيْثُ هَمَى   يَا زَمَانَ الوَصْلِ بِالأَنْدَلُسِ[1]

لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلّا حُلُمَا   في الكَرَى أَوْ خِلْسَةَ المُخْتَلِسِ[2]

* * *

(١) جاد: كثر. الغيث: المطر. همى: سقط.

(٢) الكرى: النوم.

فِي لَيَالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الهَوَى بِالدُّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الغُرَرِ
مَالَ نَجْمُ الكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الأَثَرِ
وَطَرٌ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ مَرَّ كَلَمْحِ البَصَرِ(١)
حِينَ لَذَّ الأُنْسُ شَيْئًا أَوْ كَمَا هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الحَرَسِ
غَارَتِ الشُّهْبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا أَثَّرَتْ فِينَا عُيُونُ النَّرْجِسِ

* * *

يَا أُهَيْلَ الحَيِّ مِنْ وَادِي الغَضَا وَبِقَلْبِي مَسْكَنٌ أَنْتُمْ بِهِ
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الفَضَا لَا أُبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أُنْسٍ قَدْ مَضَى تُعْتِقُوا عَبْدَكُمُ مِنْ كَرْبِهِ(٢)
وَاتَّقُوا اللهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمَا يَتَلَاشَى نَفَسًا فِي نَفَسِ
حَبَسَ القَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا أَفَتَرْضَوْنَ عَفَاءَ الحَبَسِ(٣)

* * *

وَبِقَلْبِي مِنْكُمُ مُقْتَرِبُ بِأَحَادِيثِ المُنَى وَهْوَ بَعِيدْ
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ المَغْرِبُ شَقْوَةَ المُغْرَى بِهِ وَهْوَ سَعِيدْ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدْ(٤)
سَاحِرُ المُقْلَةِ مَعْسُولُ اللَّمَى جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالَ النَّفَسِ
سَدَّدَ السَّهْمَ فَأَصْمَى إِذْ رَمَى بِفُؤَادِي نَبْلَةَ المُفْتَرِسِ(٥)

* * *

(١) الوطر: الحاجة.
(٢) تعتقوا: تحرّروا. الكرب: الحزن والأسى.
(٣) العفاء: الهلاك.
(٤) الوعيد: التهديد.
(٥) أصمى: أصاب فقتل.

إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الأَمَلُ   فَفُؤَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبْ
فَهْوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ   لَيْسَ فِي الحُبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبْ
أَمْرُهُ مُعْتَمَلٌ مُمْتَثِلٌ   فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبْ
حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَاحْتَكَمَا   لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِفَافِ الأَنْفُسِ
يُنْصِفُ المَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا   وَمُجَازِي البِرَّ مِنْهَا وَالمُسِي[1]

* * *

مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا   عَادَهُ عِيدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدْ
جَلَبَ الهَمَّ لَهُ وَالوَصَبَا   فَهْوَ لِلأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَهِيدْ[2]
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا   قَوْلُهُ: إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدْ
لَاعِجٌ فِي أَضْلُعِي قَدْ أُضْرِمَا   فَهْيَ نَارٌ مِنْ هَشِيمِ اليَبَسِ[3]
لَمْ يَدَعْ فِي مُهْجَتِي إِلَّا الذَّمَا   كَبَقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الغَلَسِ[4]

* * *

(١) المُسِي: المُسِيء.
(٢) الوصب: التعب. الأشجان: الأحزان.
(٣) اللاعج: الحبّ المحرق.
(٤) الغلس: ظلمة آخر الليل.

علي الحصريّ

هو أبو الحسن عليّ بن عبد الغنيّ الفهريّ الحصريّ (٠٠٠ - ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) شاعر ضرير مشهور من أهل القيروان. انتقل إلى الأندلس، ومات في طنجة. اتصل ببعض الملوك، ومدح المعتمد بن عباد بقصائد، وألّف له كتاب «المستحسن من الأشعار». له «ديوان شعر» بقي بعضه مخطوطًا، و«اقتراح القريح واجتراح الجريح» مرتّب على حروف المعجم في رثاء ولد له، و«معشرات الحصري» في الغزل والنسيب[1].

اشتُهِر بالموشّح الذي مطلعه:

«يا ليلُ الصّبُّ مَتَى غَدُهُ».

وفيما يلي نصّ هذا الموشّح.

يا ليْلُ الصبّ

يا لَيْلُ الصَّبُّ مَتَى غَدُهُ أَقِيامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ السُّمّارُ وَأَرَّقَهُ أَسَفٌ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
كَلِفٌ بِغَزالٍ ذي هَيَفٍ صَوْتُ الواشِينَ يُشَرِّدُهُ[2]

---

(١) الزركلي: الأعلام ٤/ ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) كَلِف: مولَع مُتيَّم. هَيَف: رقّة الخصر وضمور البطن ورشاقة القَوام.

نَصَبَتْ عَيْنايَ لَه شَرَكًا بِالنَّوْمِ، فَعَزَّ تَصَيُّدُهُ[1]

* * *

صاحٍ والخَمْرُ جَنَى فَمِهِ سَكْرانُ اللَّحْظِ مُعَرْبِدُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سيفًا وكأنَّ نُعاسًا يَغْمُدُهُ[2]
فَيُرِيقُ دَمَ العشّاقِ بِهِ والويلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ[3]
يا مَنْ جَحَدَتْ عيناهُ دمي وَعَلى خَدَّيْهِ تَوَرُّدُهُ[4]
خَدّاكَ قَدِ اعْتَرَفا بِدَمي فَعَلامَ جفونُكَ تَجْحَدُهُ؟
كَلّا لا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
إنّي لأُعيذُكَ مِنْ قَتْلي وَأَظُنُّكَ لا تَتَعَمَّدُهُ

* * *

(١) شركًا: فخًا، مصيدة. عَزَّ: امتنع وصعب.
(٢) ينضو: يَسْتَلّ، وينتزع.
(٣) يُريق: يسفك. يتقلّده: يحمله.
(٤) جَحَدَتْ: أنْكَرَت. تورّده: احمراره، والمقصود الإشارة إلى حُمْرة دم العاشق المقتول.

المعتمد بن عباد

هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخميّ (٤٣١هـ/ ١٠٤٠ – ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وأحد أفراد الدهر شجاعةً وحزمًا وضبطًا للأمور. كان مقصدًا للعلماء والشعراء والأمراء، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع في بابه من أعيان الأدب. وكان شاعرًا وكاتبًا. هزمه يوسف بن تاشفين صاحب مراكش، فأسره، وأودعه السجن في أغمات، وهي بلدة صغيرة وراء مراكش. فبقي في سجنه حتى مات. وللشعراء في اعتقاله وزوال ملكه قصائد كثيرة. له ديوان شعريّ. ومن شعره الوجدانيّ نقتطف ما يلي:

* * *

ولـمّـا وقـفـنـا لـلـوداع غُـديّـةً وقد خفقَتْ في ساحة القصرِ راياتُ

بكينا دمًا حتّى كأنّ عيونَنا بجري الدموعِ الحمرِ منها جراحاتُ

* * *

لولا العيونُ من الواشين ترمُقني وما أحاذرُه من قول حراسِ

لزرتُكم لا أكافيكم بجفوتكم مشيًا على الوجهِ أو سعيًا على الراسِ

* * *

دخلتْ عليه يومًا بناته، وهو في السجن، وكان يوم عيد، وكنّ يغزلنَ للناس بالأجرة في أغمات، حتّى إنّ إحداهنّ غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه، فرآهنّ في أطمار رثّة وحالة

سيئة، فصَدَعْن قلبه، وأنشد:

فيما مضَى كنتَ بالأعيادِ مسرورا فساءَكَ العيدُ في أغماتَ مأسورا
ترى بناتكَ في الأطمار جائعةً يغزلْنَ للناس لا يملكنَ قِمطيرا[1]
برَزْنَ نحوك للتّسليم خاشعةً أبصارهُنَّ حسيراتٍ مكاسيرا
يطأْنَ في الطين والأقدامُ حافيةٌ كأنها لَمْ تطأ مسكًا وكافورا

ومنها أيضًا:

لا خدّ إلّا ويشكو الجدب ظاهره وليس إلا مع الأنفاسِ ممطورا
قد كان دهركَ إن تأمُرهُ مُمْتثلاً فردَّكَ الدّهرُ منهيًّا ومأمورا
مَنْ بات بعْدَك في مُلكٍ يُسرُّ به فإنّما باتَ بالأحلام مغرورا

ودخل عليه وهو في تلك الحال ولده أبو هاشم، والقيود قد عضّتْ بساقيه عضّ الأسود، والتوت عليه التواء الأساود السود، وهو لا يطيق إعمال قدم، ولا يُريق دمعًا إلّا ممتزجًا بدم، بعدما عهد نفسه فوق منبر وسرير، وفي وسط جنة وحرير، تَخفِق عليه الألوية، وتشرق منه الأندية، فلما رآه بكى وقال:

قَيْدي أما تعلمني مسلما أَبيتَ أن تشفق أو ترحما
دمي شرابٌ لك واللحمُ قد أكلتَهُ، لا تهشم الأعظما
يبصرني فيك أبو هاشم فينثني والقلبُ قد هشّما
ارحمْ طُفَيلاً طائشًا لُبُّه لم يخشَ أن يأتيك مسترحما
وارْحم أُخَيّاتٍ له مثله جرعتهُنَّ السمَّ والعلقما
منهنَّ من يفهمُ شيئًا فقد خِفْنا عليه للبكاء العمى
والغير لا يفهم شيئًا فما يفتح إلا لرضاعٍ فما

(١) القمطير: الشيء القليل من الدراهم وغيره.



الباب السابع:

من الشعر الوجدانيّ
في العصر الحديث



أبو القاسم الشابي

شاعر تونسيّ مجيد، وُلد في قرية الشابّة، جنوبي تونس، سنة ١٩٠٩. كان أبوه قاضيًا وشيخًا، فأخذ عنه أصول العربيّة والدّين. في الحادية والعشرين من عمره أدخل مدرسة «جامع الزيتونة» في تونس، وهي مدرسة دينيّة شهيرة، فاعتنى به شيوخ المدرسة لما كان عليه من ذكاء وقّاد، فتخرّج بعد سبع سنوات شيخًا مثقّفًا. ثم درس الحقوق، فنال إجازتها سنة ١٩٣٠. بيد أن الأعمال الأدبيّة لم تستهوه، فمال إلى الشعر، وراح يتّصل بالأدباء والمفكّرين، ويحرّر المقالات ويغرف من معين الثقافة العربيّة والأجنبيّة، متأثرًا بالأدب المهجري، وخاصة جبران. كان يقرض الشعر ويرسله إلى جماعة «أبولو»، حيث كانوا ينشرونها في مجلّتهم.

وكان لوفاة أبيه أثر كبير على حياته، وسرعان ما تسلّل المرض إلى قلبه، فأوقفه عن الحركة، وهو ما زال في ريعان الشباب. توفي سنة ١٩٣٤ عن خمسة وعشرين عامًا.

* * *

السآمة

سَئِمْتُ الحَيَاةَ، وما في الحياة   وما إن تَجَاوَزْتُ فَجْرَ الشَّبَابْ

سَئِمْتُ اللَّيَالِي، وأَوجَاعَهَا   وما شَعْشَعَتْ من رَحِيقٍ بِصَابْ

فَحَطَّمْتُ كأسِي، وَأَلْقَيْتُها بِوَادِي الأَسَى وَجَحِيمِ العَذابْ
فَأَنَّتْ، وَقَدْ غَمَرَتْهَا الدُّمُوعُ وَقَرَّتْ، وَقَدْ فَاضَ مِنْهَا الحُبَابْ
وَأَلْقَى عَلَيْها الأَسَى ثَوْبَه وَأَقْبَرَها الصَّمْتُ والإكْتِئَابْ
فَأَيْنَ الأَمَانِي وأَلْحَانُهَا؟ وأَيْنَ الكُؤُوسُ؟ وأَيْنَ الشَّرَابْ
لَقَدْ سَحَقَتْهَا أَكُفُّ الظَلامِ وَقَدْ رَشَفَتْها شِفَاهُ السَّرابْ
فَمَا العَيْشُ في حَوْمَةِ بَأْسُها شَدِيدٌ، وَصَدَّاحُها لا يُجابْ
كَئيبٌ، وَحِيدٌ بآلامِه وأَحْلامِه، شَذْوُهُ الإنْتِحَابْ
ذَوَتْ في الرَّبِيعِ أَزاهِيرُهَا فَنِمْنَ، وَقَدْ مَصَّهُنَّ التُّرابْ
لَوَيْنَ النُّحُورَ على ذِلَّةٍ وَمُتْنَ، وَأَحْلامُهُنَّ العِذابْ
فَحَالَ الجَمَالُ، وَغَاضَ العَبِيرُ وَأَذْوَى الرَّدَى سِحْرَهُنَّ العُجَابْ

* * *

شكوى اليتيم

على ساحلِ البحر أين يَضِجُّ صُراخُ الصباحِ ونوحُ المسا
تَنَهَّدْتُ من مهجةٍ أُتْرِعَتْ بدمعِ الشقاءِ وشَوْكِ الأسَى[1]
فضاعَ التَّنَهُّدُ في الضجَّةِ
بما في ثناياهُ من لوعةٍ[2]
فسِرْتُ وَنادَيْتُ: «أيا أمّ هيّا
إليَّ فقد سَئِمَتْني الحياة»

* * *

(١) أترعت: مُلئت.
(٢) ثناياه: داخله.

وجئتُ إلى الغابِ أسكُبُ أوْجا ... عَ قلبي نحيبًا كَلَفْحِ اللهيب[1]
نحيبًا تَرَقْرَقَ في مُهجتي ... وسالَ يَرِنُّ بِنَدْبِ القلوب[2]
فلَمْ يَفْهَمِ الغابُ أشجانَهُ
وظلّ يردّدُ ألْحَانَهُ
فسرْتُ وناديتُ: «أيا أمُّ هيّا
إليّ فقد عذّبتني الحياة»

* * *

وقفتُ على النهر أُهرِقُ دمعًا ... تفجَّرَ من فَيْضِ حُزْني الأليم[3]
يسيرُ بصَمْتٍ على وَجْنَتي ... وَيَلْمَعُ مثلَ دموعِ الجحيم[4]
فما خفّفَ النهرُ من عَدْوِهِ[5]
ولا سَكَتَ النهرُ عن شَدْوِهِ[6]
فسِرْتُ وناديتُ: «أيا أمّ هيّا
إليّ فقد أضجرتني الحَيَاة»

* * *

ولمّا نَدَبْتُ ولم يَنْفَعِ ... ونادَيْتُ أمّي فلم تسْمَعِ[7]
رَجَعْتُ بحزني إلى وحدتي ... وَرَدَّدْتُ نَوْمي على مسمعي

---

(١) النحيب: البكاء. لفح اللهيب: إحراقه.
(٢) يرنّ بالندب: يبكي بصوت عال.
(٣) أهرق: أصبّ. فيض حزني: شدّة حزني.
(٤) الوجنة: الخدّ.
(٥) العَدْو: السير السريع.
(٦) الشدو: الغناء.
(٧) ندبت: بكيت بصوت مرتفع.

وعانَقْتُ في وَحْدتي لَوْعَتي

وقلت لنفسي: «ألا فاسكتي»

* * *

في ظلِّ وادي الموتِ

نحنُ نَمْشِي، وَحَوْلَنَا هَاتِهِ الأَكْوا

ن تَمْشِي... لكِنْ لِأَيَّة غَايَهْ؟

نَحنُ نَشْدُو مَعَ العَصَافيرِ للشَّمْسِ

وَهَـذا الـرَّبِـيـعُ يَـنْـفُـخ نَـايَـهْ

نَحنُ نَتْلو روايةَ الكونِ للْمَوتِ

وَلـكـنْ مَـاذا خِـتَـامُ الـرِّوَايَـهْ؟

هَكَذَا قُلْتُ للرِّياحِ فَقَالَتْ:

«سَلْ ضَميرَ الوُجُودِ: كَيفَ البِدايَة؟»

* * *

وتَغَشَّى الضَّبابُ نَفْسِي فَصَاحَتْ

في مَلالٍ[1] مُرٍّ: «إِلى أَينَ أَمشِي؟»

قُلتُ: «سِيرِي مَعَ الحَياةِ» فَقَالتْ:

«مَا جَنَيْنا، تُرَى، مِنَ السَّيرِ أَمْسِ؟»

فَتَهَافَتُّ كالهَشِيمِ عَلى الأَرضِ

(١) المَلال: المَلَل.

وَنَادَيْتُ: أَيْنَ يَا قَلْبُ رَفشِي؟
هَاتِه، عَلّمْني أَخُطُّ ضَرِيحي
في سكونِ الدُّجَى وأَدْفُنُ نَفسِي

* * *

هاتِه فالظلامُ حَولِي كَثِيف...
وَضَبابُ الأَسَى منيخٌ عَلَيّا...
وَكؤوسُ الغَرَامِ أَتْرعَها الفَجرُ،
وَلكنْ تَحطَّمتْ في يَدَيّا...
وَالشَّبابُ الغَريرُ ولَّى إلى الماضي
وَخَلَّى النَّحيبَ فِي شَفَتيّا،
هَاته، يَا فؤادُ إنّا غريبان،
نَصوغُ الحياةَ فَنًّا شَجِيّا

* * *

قَدْ رقَصْنا مَعَ الحياةِ طَويلاً
وَشَدَوْنَا مَعَ الشَّبابِ سِنينا
وَعَدَوْنَا مَع الليالي حُفاةً
في شعابِ الحياةِ حتى دَمينا
وَأَكَلْنَا الترابَ حتَّى مَلِلْنَا
وشَرِبْنَا الدُّموعَ، حتّى روينا
وَنَثَرْنَا الأَحْلاَمَ والحبَّ والآلاَمَ

وَاليأسَ، والأَسَى، حَيْثُ شِينا

* * *

ثمَّ مَاذا؟ هَذا أَنَا: صِرْتُ في الدُّنيا
بَعيدًا عن لَهْوِهَا وغِنَاهَا
في ظَلَامِ الفَنَاءِ، أَدْفُنُ أيامِي
وَلا أستطيعُ حتَّى بُكَاهَا
وَزُهورُ الحَياةِ تَهْوي، بِصَمْتٍ
مُحزنٍ، مُضجرٍ، عَلى قَدَمَيَّا
«جَفَّ سِحْرُ الحَيَاةِ، يَا قلبيَ البَاكي
فَهَيَّا، نجرِّبِ المَوْتَ.. هَيَّا..!

* * *

الشاعر القروي

هو الشاعر رشيد سليم الخوري، ولد في البربارة، وهي قرية ساحليّة لبنانيّة سنة ١٨٨٧. تلقّى علومه في عدّة مدارس منها «المدرسة الأميركيّة» في بيروت. انصرف إلى التعليم ردحًا من الزمن، ثم هاجر إلى البرازيل سنة ١٩١٣ حيث عمل بالتجارة دون أن ينقطع عن الأدب والشعر. وظلّ حنينه يشدّه إلى وطنه.

من آثاره: «الرشيديات»، و«القرويات»، و«ديوان الشاعر القروي».

* * *

شكوى الغريب

قَضَتِ الصبابةُ وانْقَضى الأمرُ ... يا ناكثًا عَهْدِي لك الشكْرُ[١]

ما ضرّني هَجْرُ الحبيبِ ومَنْ ... هَجَرَ الهوَى ما ضرَّهُ الهجرُ

ناءٍ عن الأوطانِ يَفْصِلُني ... عمَّنْ أُحِبُّ البرُّ والبحرُ[٢]

في وحشةٍ لا شيءَ يُؤنِسُها ... إلّا أنا والوَجْدُ والشِّعْرُ

حولي أعاجمُ يَرْطُنون فما ... للضادِ عند لسانهم قَدْرُ[٣]

(١) ناكث العهد: ناقض الوفاء.

(٢) النائي: البعيد.

(٣) يرطنون: يتكلّمون بالأعجميّة. الضاد: من أحرف اللغة العربيّة، وسمّيت العربيّة به لتفرّدها به.

لو عاش بينهم ٱبْنُ ساعدةٍ   لَقضَى ولم يُسْمَعْ له ذكرُ[١]
ناسٌ ولكنْ لا أنيسَ بهمْ   ومدينةٌ لكنّها قفرُ
الشمسُ للأكوانِ ضاحكةٌ   عن باهرِ الألوانِ تفترُّ[٢]
والطيرُ تُرسِلُ شدوها طربًا   فيجيبها بخريرهِ النهرُ
أمّا أنا والهمُّ كبّلني   صخرٌ يُحسُّ وليتني صخرُ
عجبًا وكم في الأرضِ من عجبٍ   بين السعادةِ والشقا فِتْرُ
لا تَغْتِبَنّ الدهرَ في كدرٍ   إنّ المسبّبَ أنتَ لا الدهرُ[٣]
ما ذُقْتُ منْ فَرَحٍ ومنْ تَرَحٍ   هو منكَ فالدنيا هيَ الصدرُ[٤]
لا تبطرنْ ولا تمتْ جزعًا   لا الخير مُكْتمِلٌ ولا الشرُّ[٥]
ضوء النهارِ تشوبه سحبٌ   وتلوحُ في جُنْحِ الدُّجَى الزُّهْرُ[٦]

* * *

يا نَسيمَ البحر

يا نَسيمَ البَحْرِ البَليلَ سَلَامُ   زارَكَ اليَوْمَ صَبُّكَ المُسْتَهامُ
إنْ تَكُنْ ما عَرَفْتَني فَلَكَ   العُذْرُ، فَقَدْ غيَّرَ المُحِبَّ السقامُ
أَوَلَا تَذْكُرُ الغُلَامَ رشيدًا؟   إنّني يَا نَسيمُ ذاكَ الغُلَامُ
طَالَما زُرْتَنِي إذا ٱنْتَصَفَ اللَّيْلُ   بِلُبْنَانَ والأَنَام نِيَامُ
وَرَفَعْتَ الغِطاءَ عَنّي قَلِيلًا   فأحَسَّتْ بِمَزْجِكَ الأَقْدَامُ

---

(١) ابن ساعدة: أحد خطباء الجاهلية.
(٢) تفترّ: تضحك.
(٣) الكدر: الحزن والأسى.
(٤) الفرح: ضدّ الترح. الصدر: أول الشيء.
(٥) تبطر: تتكبّر عند حلول النعمة. الجزع: الخوف.
(٦) تشوبه: تخالطه. الدجى: الظلام. الزهر: النجوم.

وَتَنَبَّهتُ فَاتِحًا لَكَ صَدْرًا شَبَّ فيهِ إلى لقاكَ ضِرامُ
فَتَغَلْغَلْتَ في الأضالِعِ أَنْفَاسًا لِطَافًا تَهْفُو إليها العِظَامُ
وَلَثَمْتَ الفُؤَادَ ثَغْرًا لِثَغْرٍ وَلَكَمْ حَجَّبَ الثُّغُورَ لِثَامُ
يا نَسِيمَ المُحِيطِ ما هٰكذا في ساحِلِ البَحْرِ عِنْدَنا الأَنْسامُ
أَنْتَ إنْ زُرْتَ في المَنَامِ صَحِيحًا غَلْغَلَتْ في عِظامِهِ الأَسْقَامُ
مُشْبَعٌ بالبُخارِ رُوحٌ ثَقِيلٌ بارِدٌ تَسْتَعِيذُ مِنْكَ المَسَامُ[1]
لَسْتَ ذاكَ الذي عَهِدْتُ يَفُوحُ الشِّيحُ إنْ جَرَّ ذيلَه والثُّمامُ[2]
ذَاك أَزْكَى شمًّا وأَلْطفُ ضَمًّا ذاك تُشْفَى بِلَمْسِهِ الأَجْسَامُ
يا لَشَوْقي إلى مَحَاسِنِ قُطْرٍ هَبَطَ الوَحْيُ فيه والإِلْهامُ
وَكُرُوم إنْ مَرَّ فيها غَرِيبٌ يَتَوَارَى مِنْ وَجْهِهِ الكَرَّامُ
لو قَضَمْتَ الرَّغيفَ فيه قِفَارًا فالرِّضَى والسُّرُورُ نِعْمَ الأَدَامُ[3]
أَيُّها النازِحُونَ عَوْدًا إِلَيْهِ حَالَما يَسْتَتِبُّ فيهِ السَّلامُ
كلّ حَيٍّ إلى الشآم سَيَمْضي حينَ يُفْضَى إنّ السَّمَاء شآمُ

* * *

(١) تستعيذ: تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
(٢) الشيح والثمام: نوعان من الشجر.
(٣) رغيف قفار: خبز من غير أدام.

الأخطل الصغير

هو بشارة عبدالله الخوري، شاعر لبناني، ولد في بيروت سنة ١٨٩٠. شبّ على حبّ العلم. تعلّم في مدرسة «الثلاثة أقمار»، ثم في مدرسة الحكمة حيث تخرج فيها.

في سنة ١٩٠٨ أنشأ جريدة «البرق» الأسبوعيّة، وقد تحوّلت إلى يوميّة بعد الحرب العالميّة الأولى. وفي هذه الفترة كان ينظم قصائده بتوقيع: «الأخطل الصغير». فذاع صيته في الأقطار العربيّة، فسافر إلى بغداد لتأبين الملك فيصل بن الحسين، وإلى القاهرة للمشاركة في المهرجان الذي أقيم لأمير الشعراء أحمد شوقي والزهاوي، وإلى دمشق لتأبين فوزي الغزي، كما عين مستشارًا فنّيًا للغة العربيّة في وزارة التربية الوطنية في بيروت.

توفي سنة ١٩٦٨، مخلّفًا وراءه: «الهوى والشباب»، و«ديوان الأخطل الصغير».

* * *

كيف أنسى

كَيْفَ أنْسَاكِ يا خَيَالَاتِ أَمْسِي ... ذِكْرَيَاتِ الصِّبَا وأَحْلَامَ نَفْسِي

كَيْفَ أَنْسَى الأَيَّامَ صَفْوًا وأُنسًا ... كَـيْـفَ أَنْـسَـى؟!

* * *

مَيُّ هَلاَّ ذَكَرْتِ تِلْكَ السِّنِينَا بِأَبِي أَنْتِ كَيْفَ لَا تَذْكُرِينَا؟!
كَمْ نَشِقْنَا تُقًى هُنَاكَ وَقُدْسَا كَـيْـفَ أَنْـسَـى؟!

* * *

أَفَلاَ تَـذْكُـرِيـنَ ذَاكَ الـغَـدِيـرا والأَفَـانِـيـنَ حَـوْلَـهُ والـزُّهُـورَا
والسُّنونو يُحَدِّثُ المَاءَ هَمْسَا كَـيْـفَ أَنْـسَـى؟

* * *

أَفَلاَ تَـذْكُـرِيـنَ عِـنْـدَ الـمَـغِـيـبْ يَوْمَ وَافَتْ سَلْمَى كَطَيْرٍ غَرِيبْ
فَأَرَتْنَا إِذْ غَابَتِ الشَّمْسُ شَمْسَا كَـيْـفَ أَنْـسَـى؟

* * *

يَوْمَ كُنَّا في الحَقْلِ نَمْرَحُ زَهْوا وَسُلَيْمَى مَعْنَا وَهِنْدٌ وسَلوىٰ
فَصَرَفْنَا النَّهارَ قَطْفًا وَغَرْسَا كَـيْـفَ أَنْـسَـىٰ؟

* * *

يَوْمَ كُنَّا نَقْرَأُ هِجَاءً وَكَرْجَا وَسُلَيْمَى تَمْحُو الأَسَاطِيرَ غُنْجَا
وَهْيَ تُمْلي عليَّ في الحبِّ دَرْسَا كَـيْـفَ أَنْـسَـىٰ؟

* * *

يَوْمَ سَمَّى الرِّفَاقُ سَلْمَى عَروسَا وأرادوا بِـأَنْ أَكُـونَ الـعَـرِيـسَـا
فَاعْتَنَقْنَا وَقَدْ جَعَلْنَاهُ عُرْسَا كَـيْـفَ أَنْـسَـىٰ؟

* * *

كَيْفَ أَنْسَى وَقَدْ كَبِرْنَا قَلِيلا وَذَكَرْنَا مَا كَانَ ذِكْرًا جَمِيلا
وَعَرَفْنَا الدُّنْيَا نَعِيمًا وَبُؤْسَا كَـيْـفَ أَنْـسَـى؟

* * *

لَسْتُ أَنْسَى مَا عِشْتُ يَوْمَ الفِراقِ   وَجِراحًا حُمْرًا بِتِلْكَ المآقي
وَبُكاهَا وَقَوْلَها سَوْف تَنْسَى   كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

مَنْ مُعِيدٌ إِليَّ ذَاكَ الزَّمَانَا   وَمُعِيدٌ سَلْمَى إِليَّ الآنَا
لِتَرَى أَنَّني وَقَدْ مُتُّ يَأْسَا   لَسْتُ أَنْسَى؟

* * *

بدر شاكر السيّاب

هو أديب عراقيّ مجيد، ولد في قرية «جيكور» في جنوب العراق سنة ١٩٢٦، توفيت أمه وهو حدث. وكان في أثنائها شديد التعلّق بها. وكم كانت الصدمة قويّة عندما تزوّج والده ثانية، فترك بيته الأبوي ليعيش مع جدّته لأمّه.

تلقّى علومه الأولى في مدرسة باب سليمان الابتدائيّة بأبي الخصيب، ثم في مدرسة البصرة الثانويّة، وقيل إنّه نظم الشعر وهو في المرحلة الابتدائيّة.

تخرّج في دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٤٨ حيث تضلّع باللغة الانكليزيّة والعربيّة.

كانت حياته ألمًا بألم: حُرم حنان الأم وهو صغير، وعاش حياة بؤس وشقاء، أضف إلى ذلك المرض الذي أودى بحياته في الكويت، مخلّفًا بعض الدواوين، من أشهرها: «أزهار وأساطير»، و«المعبد الغريق»، و«أنشودة المطر».

* * *

على الرابية

وَحيدًا! هُناكَ.. عَلى الرَّابِيَه ... جَلَسْتُ أَبُثُّ الدُّجى ما بِيَه
أَعُدُّ أيَّامِيَ الذَّاهِباتِ ... فَأبكي لِأَيَّامِيَ الباقِيَه
وَجَدَّدَتِ الحُزْنَ لِيَ دَمْعَةٌ ... مُحَيَّرةٌ بَيْنَ أَهْدابِيَه
عَرَفْتُ بِها قِصَّتي في الحياة ... وَتَضْليلَ رُوحي وَآمالِيَه
لها بينَ عَيْني وَبَيْنَ الثَّرى ... مَسيلٌ عَلى وَجْنَةٍ ذاوِيَه
فَلي مِثْلُها سَفْرَةٌ في غَدٍ!!! ... وَلي مِثْلُها قِصَّةٌ دامِيَه
شَكَوْتُ إلى اللَّيْلِ جَورَ الحياة ... فَارْتَدَّ يَشْكُو أَذاها لِيَه
فَقالَ: وَإِنّي أَسيرٌ وَتِلْكَ ... النُّجومُ المُضيئاتُ أَغلالِيَه
فَقُلْتُ: وَرُوحي بِذُلِّ الأَسارِ[1] ... رَمَتْها قِوَى الْجَسَدِ العاتِيَه
فَما خَفَقاتُ فُؤادي سِوَى ... رَنينِ سَلاسِلِها القاسِيَه
شَكَوْتُ إلى اللَّيْلِ جورَ الغرام ... فَأَرْسَلَ آهاتِهِ الباكِيَه
فَقالَ: وَإِنِّي أُحِبُّ النَّهارَ ... وَيَعْشَقُ أَطْرافِيَ السَّاجِيَه[2]
كِلانا يُفَتِّشُ عَنْ إِلْفِهِ... ... وَكُلٌّ تَفَرَّقَ في ناحِيَه
فَقُلْتُ وَفي القَلْبِ مِنْ حُبِّهِ ... نَواظِرُ تَحْلُمُ بِالرَّاعِيَه!
قَسيمي بِمَا أَشْتَكيهِ الدُّجى ... فَهَيْهَاتِ أَنْ أَشْتَكي ثانِيَه
وَقَرَّتْ عَلَى وَجْنَتَيَّ الصَّبا ... مُكَفْكِفَةً أَدْمُعي الجارِيَه!

* * *

---

(١) الأسار أو الإسار: هو القيد.
(٢) السّاجِيَه: السّاكِنَة.

الياس أبو شبكة

شاعر لبنانيّ، ولد في أميركة سنة ١٩٠٣ أثناء رحلة لوالديه فيها. نشأ في «زوق مكايل» (قضاء كسروان)، تلقّى علومه في معهد «عينطورة» وظلّ فيه إلى أن وقعت الحرب الكونيّة الأولى سنة ١٩١٤.

في أثناء الدراسة، فُجع بموت أبيه، فتأثّر بذلك كثيرًا، ممّا أورثه الحقد على القدر.

انصرف إلى الترجمة والتحرير في الصحف، وإلى مطالعة آثار كبار الأدباء من عرب وأجانب. كما عمل في حقل التدريس. ولكن العمل الصحافي استهواه أكثر من غيره.

كان أحد مؤسّسي «عصبة العشرة»، وهي جمعية أدبيّة من أعضائها كرم ملحم كرم، وخليل تقي الدين، وتوفيق عوّاد وسواهم.

توفي سنة ١٩٤٧ بعد أن أرهقه المرض تاركًا وراءه شعرًا ونثرًا ومترجمات، منها: «القيثارة»، و«أفاعي الفردوس»، و«لبنان في العالم»، و«تاريخ نابوليون»، و«بول وفرجيني».

* * *

إِجْرَحِ الْقَلْبَ

إجرحِ القلبَ واسقِ شعرَكَ منْهُ ... فـدمُ الـقـلـبِ خـمـرةُ الأقـلام

مصدرُ الصدقِ في الشعورِ هو القلبُ ... وفـي الـقـلـبِ مـهـبطُ الإلـهـام

وإذا أنتَ لمْ تُعَذَّبْ وَتَغمِسْ ... قـلـمًـا فـي قـرارةِ الآلام

فـقـوافِـيـكَ زخـرفٌ وبـريـقٌ ... كعظامٍ في مدفنٍ من رخام[1]

وإذا القلبُ لم يرقَّقْ بحبٍّ ... حـجَّـرَتْـهُ ضـغـائـنُ الأيـامِ[2]

والهوى دونَ أكبدٍ ليسَ يحيا ... فـغـذاءُ الـهـوى مـن الأجـسـام

ضـحٌّ بـالـقـلـبِ إن هـويـتَ ... فليسَ القلبُ إلا وليمةٌ للغرام[3]

يا لها في الهوى وليمةُ قلبٍ ... سوف يبقى لها صدًى في الأنامِ[4]

ربَّ جرحٍ قد صارَ ينبوعَ شعرٍ ... تلتقي عندَهُ النفوسُ الظّوامِي[5]

وزفيرٍ أمْسَى - إذا قدَّسَتْهُ الروحُ - ... ضـربًـا مِـنْ أقـدسِ الأنـغـام

* * *

---

(١) زخرفٌ: زينة.

(٢) ضغائن: أحقاد.

(٣) وليمة: طعام.

(٤) الأنام: الناس.

(٥) الظوامي: العِطَاش.

خليل مطران

هو خليل بن عبده مطران شاعر القطرين (لبنان ومصر). ولد في مدينة بعلبك سنة ١٨٧٢، في بيت غسّانيّ الأصل، محافظ على التقاليد العربيّة. كان أبوه يعمل بالزراعة والتجارة. وكانت أمّه مغرمة بالشعر كوالدتها. تلقّى دروسه الأولى في زحلة، ثم انتقل إلى بيروت حيث تلقّى علومه الثانويّة في المدرسة البطريركية. درس العربيّة على يد الشيخين خليل اليازجي وأخيه إبراهيم.

أحبّ الشعر ونظم فيه، واطّلع على الأدب الأجنبي فأحبّه. هجر لبنان خوفًا من الأتراك إلى باريس، ثم إلى مصر حيث تولّى إنشاء جريدة «الأهرام»، وأسهم في إنشاء «المؤيّد»، و«المجلّة المصريّة»، ثم أنشأ «الجوائب المصريّة»، وهي جريدة يوميّة لم تعش طويلًا.

تعاطى التجارة، فكانت خسارته فادحة، فعكف على نظم الشعر، فأتحف الأدب بروائعه الفريدة، كقصيدة: «المساء»، و«الأسد الباكي»، و«النيرونيّة»، وسواها.

توفي سنة ١٩٤٩.

* * *

المساء

داءٌ أَلَمَّ حَسِبْتُ فيه شِفَائي ... من صَبْوتي فَتَضَاعَفَتْ بُرَحَائي[1]

يا لَلضَّعيفَيْنِ استبدّا بي وَمَا ... في الظلمِ مثلُ تحكُّمِ الضعفاءِ[2]

قلبٌ أذابَتْهُ الصبابةُ والجَوَى ... وغلالَةٌ رثّتْ من الأدواءِ[3]

والروحُ بينهما نسيمُ تَنَهُّدٍ ... في حالَيِ التصويبِ والصُّعَداءِ[4]

والعقلُ كالمصباحِ يَغْشَى نُورَهُ ... كَدَرِي ويُضْعِفُهُ نضوبُ دمائي

إنّي أقمتُ على التعلَّةِ بالمنى ... في غربةٍ قالُوا تكونُ دوائي[5]

إنْ يَشْفِ هذا الجسمَ طيبُ هوائها ... أَيُلَطِّفُ النيرانَ طيبُ هواءِ

أو يُمسِكِ الحوباءَ حسنُ مُقامِها ... هل مَسْكَةٌ في البُعْدِ للحوباءِ[6]

عَبَثٌ طوافي في البلادِ وعلّةٌ ... في عِلَّةٍ مَنْفايَ لاسْتِشْفاءِ[7]

متفرِّدٌ بصبابتي متفرِّدٌ ... بكآبتي متفرِّدٌ بعنائي

شاكٍ إلى البحر اضطرابَ خواطري ... فيُجيبني برياحِهِ الهَوْجاءِ[8]

ثاوٍ على صَخْرٍ أصمَّ وليت لي ... قلبًا كهذي الصخرةِ الصمّاءِ

ينتابُها موجٌ كموجِ مكارهي ... ويفتُّها كالسُّقْمِ في أعضائي[9]

---

(١) الصبوة: الميل إلى الفتوّة. البرحاء: الأذى والمشقّة.

(٢) الضعيفان: هما مرض الجسم ومرض القلب.

(٣) الصبابة: الحبّ الشديد. الجوى: حرقة الفؤاد. الغلالة: ما يلي الجسد من الثياب. رثت: بليت.

(٤) التصويب والصعداء: حركتا التنفّس، أي: الشهيق والزفير.

(٥) التعلّة: ما يُتعلل به.

(٦) الحوباء: الروح.

(٧) الطواف: التجوال.

(٨) الهوجاء: الشديدة.

(٩) المكاره: ما يكرهه الإنسان. ينتابها: يصيبها مرّة بعد مرّة. السقم: المرض.

والبحرُ خفّاقُ الجوانبِ ضائقٌ كمدًا كصدري ساعة الإمساءِ[1]
تَغْشَى البريّةَ كُدْرَةٌ وكأنّها صَعِدَتْ إلى عينيَّ من أحشائي[2]
والأفقُ مُعْتكرٌ قريحٌ جفنُه يُغْضي على الغَمَراتِ والأقذاءِ[3]
يا لَلْغُروبِ وما به من عَبْرةٍ لِلْمُسْتَهامِ وعِبْرةٍ للرائي[4]
أوليسَ نزعًا للنهارِ وصرعةً للشمسِ بين جنازةِ الأضواءِ[5]
أوَليسَ محوًا للوجود إلى مدًى وإبادةً لمعالمِ الأشياءِ[6]
حتى يكونَ النور تجديدًا لها ويكونَ شبه البعث عَوْدُ ذُكاءِ[7]
ولقد ذكرتُكِ والنهارُ مودّعٌ والقلبُ بين مهابةٍ ورجاءِ
وخواطري تبدو تُجاهَ نواظري كَلْمى كداميةِ السحاب إزائي[8]
والدمعُ من جَفْني يسيلُ مشعشعًا بِسَنا الشعاعِ الغاربِ المترائي[9]
والشمسُ في شفقٍ يسيلُ نُضارُه فوق العقيقِ على ذرًى سوداءِ[10]
مرّتْ خلالَ غمامتين تحدّرًا وتقطّرتْ كالدمعةِ الحمراءِ[11]
فكأنّ آخر دمعةٍ للكونِ قد مُزِجَتْ بآخرِ أدمعي لرثائي

---

(١) خفّاق: مضطرب. الكمد: الحزن.
(٢) الكدرة: الغشاوة، أو السواد.
(٣) قرح: جريح. معتكر: شديد السواد. يغضي: يطبق جفنيه. الغمرات: الشدائد. الأقذاء: ج القذى، وهو ما يُدمع العين.
(٤) العَبرة: الدمعة. العِبرة: العظة.
(٥) النزع: حالة المريض المشرف على الموت. الاحتضار.
(٦) معالم: رسوم.
(٧) ذكاء: الشمس.
(٨) كلمى: جريحة.
(٩) مشعشعًا: ممزوجًا. السنا: الضياء. المترائي: المعكوس على صفحة البحر.
(١٠) الشفق: بقيّة ضوء الشمس. النضار: الذهب. العقيق: الخرز الأحمر.
(١١) التحدّر: النزول.

وكأنني آنستُ يومي زائلاً فرأيتُ في المرآةِ كيف مسائي[1]

* * *

الأسد الباكي

دَعَوْتُكَ أَسْتَشْفِي إِلَيْكَ فَوَافِنِي عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسِي[2]
فَإِنْ تَرَنِي وَالْحُزْنُ مِلْءُ جَوَانِحِي أُدَارِيهِ فَلْيَغْرُرْكَ بِشْرِي وَإِينَاسِي
وَكَمْ فِي فُؤَادِي مِنْ جراحٍ ثَخِينَةٍ يُحَجِّبُهَا بُرْدَايَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ
إِلَى «عَيْنِ شَمْسٍ» قَدْ لَجَأْتُ وَحَاجَتِي طَلَاقَةُ جَوٍّ لَمْ يُدَنَّسْ بِأَرْجَاسِ
أُسَرِّي هُمُومِي بِانْفِرَادِي آمِنًا مَكَايِدَ وَاشٍ أَوْ نَمَائِمَ دَسَّاسِ
يَخَالُون أَنِّي فِي مَتَاعٍ حِيَالَهَا وَأَيُّ مَتَاعٍ فِي جِوَارٍ لِدِيمَاسِ[3]
أَرَى رَوْضَةً لكِنَّهَا رَوضَةُ الرَّدَى وَأُصْغِي وَمَا فِي مَسْمَعِي غيْرُ وَسْواسِ
وَأَنْظُرُ مَنْ حَوْلِي مُشَاةً وَرُكَّبًا عَلَى مُزْجَيَاتٍ مِنْ دُخَانٍ وَأَفْرَاسِ[4]
كَأَنِّيَ فِي رُؤْيَا يَزُقُّ الأَسَى بِهَا طَوَائِفَ جِنٍّ فِي مَوَاكِبِ أَعْرَاسِ
وَمَا «عَيْنُ شَمْسٍ» غَيْرُ مَا ارْتَجَلَ النُّهَى بِقَفْرٍ جَدِيبٍ مِنْ مَبَانٍ وَأَغْراسِ
بَنَوْهَا فَأَعْلَوْهَا وَمَا هُوَ غَيْرَ أَنْ جَرَتْ أَحْرُفٌ مَرْسُومَةٌ فَوْقَ قِرْطَاسِ
بَدَتْ إِرَمُ ذَاتِ العِمَادِ كَأَنَّهَا مِنَ القَاعِ شَدَّتْهَا النُّجُومُ بِأَمْرَاسِ[5]
كَفَتْهَا لَيَالٍ نَزْرَةٌ فَتَجَدَّدَتْ ثَوَابِتَ أَرْكَانٍ رَوَاسِخَ آسَاسِ
وَغَالَطَ فِيهَا الْبَعثُ ما خَالَطَ الْحِلَى بِهَا مِنْ ضرُوبٍ مُحْدَثَاتٍ وَأَجْنَاسِ
هُنَاكَ أُبِيحُ الشَّجْوَ نَفْسًا مَنِيعَةً عَلَى الضَّيْمِ مَهْمَا يَفْلُلِ الضَّيْمُ مِن بَاسي

---

(١) آنست: رأيت.

(٢) الآسي: مداوي الجراح.

(٣) الديماس: الحفير تحت الأرض، القبر.

(٤) مُزجيات: مدفوعات.

(٥) إرم: اسم مدينة قديمة ذكرت في القرآن. الأمراس: الحبال.

يَمُرُّ بِيَ الإِخْوَانُ فِي خَطَرَاتِهِمْ ... أُولَئِكَ عُوَّادِي وَلَيْسُوا بِجُلاَّسِي
أَهَشُّ إِلَيْهِمْ مَا أَهَشُّ تَلَطُّفًا ... وَفِي النَّفْسِ مَا فِيهَا مِنَ الحُزْنِ وَالبَاس
ذَرُونِيَ وَانجُوا مِنْ شَظَايَا تُصِيبُكُمْ ... إِذَا لَمْ أُطِقْ صَبْرًا فَأَطْلَقْتُ أَنْفَاسِي
فَإِنِّي عَلَى مَا نَالَنِي مِنْ مَسَاءَةٍ ... لأَرْحَمُ صَحْبِي أَنْ يُلِمَّ بِهِمْ بَاسِي
ذَرُونِيَ لا يَمْلِكْ وَجِيفِي قُلُوبَكُمْ ... إِذَا مَرَّ ذَاكَ الطَّيْفُ وَادَّكَرَ النَّاسِي
فَتَاللهِ لولا ذَلِكَ الطَّيْفُ وَالْهَوَى ... لَهُ مُسْعِدٌ لَمْ يَمْلِكِ الدَّهْرُ إِتْعَاسِي
ذَرُونِيَ أَحْسُ الْخَمْرَ غَيْرَ مُنَفِّرٍ ... عَنِ الْوِرْدِ مِنْهَا نِفْرَةَ الطَّائِرِ الْحَاسِي
ذَرُونِيَ أُنَكِّسْ هَامَتِي غَيْرَ مُتَّقٍ ... مَلاَمَةَ رُوَّادٍ وَشُبْهَةَ جُوَّاسِ[1]
فَبِي حُرَّةٌ بِكْرٌ ضُلُوعِي سِيَاجُهَا ... أَرَاشَ عَلَيْهَا سَهْمَهُ مُعْتَدٍ قَاسِ[2]
أُعِيدُ إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ نَوَاظِرِي ... وَأَخْفِضُ مِن عَطْفٍ عَلَى جُرْحِهَا رَاسِي
أَنَا الأَلَمُ السَّاجِي لِبُعْدِ مَزَافِرِي ... أَنَا الأَمَلُ الدَّاجِي وَلَمْ يَخْبُ نِبْرَاسِي[3]
أَنَا الأَسَدُ الْبَاكِي، أَنَا جَبَلُ الأَسَى ... أَنَا الرَّمْسُ يَمْشِي دَامِيًا فَوْقَ أَرْمَاسِ
فَيَا مُنْتَهَى حُبِّي إِلى مُنْتَهَى المُنَى ... وَنغمَةَ فِكْرِي فَوْقَ شِقْوَةِ إِحْسَاسِي
دَعَوْتُكَ أَسْتَشْفِي إِلَيْكَ فَوَافِنِي ... عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسِي

* * *

(١) جواس: جمع جائس وهو من يتردد ويطوف.

(٢) حرة بكر: يريد بها نفسه. أراش السهم: ألزق عليه الريش.

(٣) الساجي: الساكن. المزافر: جمع مزفر وهو الزفر أو الوقع الذي يزفر منه.

أحمد شوقي

هو أمير الشعراء أحمد شوقي بن علي بن أحمد (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م - ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م). مولده ووفاته في القاهرة. عاش حياته كلّها للشعر يستوحيه من المشاهدات والحوادث. وعالج أكثر فنونه، فجرى شعره على كلّ لسان. من آثاره «الشوقيّات»، وهو ديوان شعره، و«دولَ العرب»، و«مصرع كليوباطرة»، و«عنترة»، و«مجنون ليلى»، و«قمبيز»، وغيرها.

من قصائده الوطنيّة نثبت القصيدة التالية التي قالها عندما دخل الفرنسيّون دمشق في ١٨ أكتوبر (تشرين الأوّل) سنة ١٩٢٥م، بعد أن ضربوها بالمدافع أربعًا وعشرين ساعة، فقال شوقي في المناسبة:

* * *

نكبة دمشق

سَلامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرَقُّ وَدَمْعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دِمَشْقُ[1]

وَمَعْذِرَةُ اليراعَةِ والقَوافي جَلَالُ الرُّزْءِ عَنْ وصفٍ يَدِقُّ[2]

وَذِكْرَى عَنْ خواطِرِها لِقَلْبي إليكِ تَلَفُّتٌ أبدًا وَخَفْقُ

(١) الصَّبا: الريح اللطيفة. بردى: نهر في دمشق. كفكف: مسح.

(٢) اليراعة: القلم. القوافي: الشعر. الرزء: المصائب.

وبي مِمّا رَمَتْكِ بِهِ اللّيالي جِراحاتٌ لها في القَلْبِ عُمْقُ
لَحَاهَا اللهُ أنْبَاءٌ تَوَالَتْ على سَمْعِ الوَليِّ بما يَشُقُّ[1]
يُفَصِّلُها الى الدُّنْيَا بَرِيدٌ وَيَحْمِلُها إلى الآفاقِ بَرْقُ
تكادُ لِرَوْعةِ الأحْدَاثِ فيها تُخَالُ من الخرافَةِ وَهْيَ صِدْقُ
ألَسْتِ دِمَشْقُ للإسْلام ظِئْرًا وَمُرْضِعَةُ الأُبُوّةِ لا تُعَقُّ[2]
وكُلُّ حَضَارَةٍ في الأرْضِ طالَتْ لها من سَرْحِك العُلْويِّ عِرْقُ[3]
سَمَاؤكِ مِنْ حُلَى الماضي كتابٌ وأرضُكِ من حلى التاريخِ رِقُّ[4]
بَنَيْتِ الدَّوْلَةَ الكُبْرى ومُلْكًا غبارُ حَضَارَتَيْه لا يُشَقُّ
لَهُ بالشامِ أعْلامٌ وَعُرْسٌ بَشَائِرُهُ بأنْدَلُس تُدَقُّ
رِباعُ الخُلْدِ وَيْحَكِ ما دَهَاها أحَقٌّ أنّها دَرَسَتْ أحَقُّ؟![5]
بِلَيْلٍ للقَذَائِفِ والمَنَايَا وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطْفٌ وَصَعْقُ
إذا عَصَفَ الحَدِيدُ احْمَرَّ أُفْقٌ على جَنَبَاتِهِ واسْوَدَّ أُفْقُ[6]
سَلِي مَنْ راعَ غِيدَكِ بَعْدَ وَهْنٍ أبَيْنَ فُؤادِهِ والصَّخْرِ فَرْقُ[7]
ولِلْمُسْتَعْمِرِين وَإنْ ألانُوا قُلُوبٌ كالحِجَارَةِ لا تَرِقُّ
إذا ما جاءَه طلّابُ حَقٍّ يَقُولُ: عِصَابَةٌ خَرَجُوا وشَقُّوا
دَمُ الثُّوّارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا وَتَعْلَمُ أنَّهُ نُورٌ وَحَقُّ
بِلادٌ ماتَ فِتْيَتُها لِتَحْيَا وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمِ لِيَبْقُوا

(١) لحاها الله: لعنها الله. الوليّ: الصديق. يشقّ: يصعب.
(٢) الظئر: المرضعة لولد غيرها. عقّ: عصى، أنكر الجميل.
(٣) السرح: شجر مرتفع.
(٤) رقّ: جلد رقيق يكتب فيه.
(٥) درست: زالت وامّحت.
(٦) الحديد: كناية عن المدافع.
(٧) راع: أفزع. الغيد: ج «غادة» وهي المرأة الناعمة. وهن: منتصف اللّيل أو بعده.

وحُرِّرَتِ الشُّعُوبُ على قَنَاها ... فَكَيْفَ على قَنَاها تُسْتَرَقُّ؟[1]
بَني سُورِيَّةَ اُطَّرِحُوا الأماني ... وَأَلْقُوا عَنْكُمُ الأحلامَ أَلْقُوا
نَصَحْتُ، وَنَحْنُ مُخْتَلِفُون دارًا ... وَلٰكِن كُلُّنَا في الهَمِّ شَرْقُ
وَيَجْمَعُنَا إذا اَخْتَلَفَتْ بِلَادٌ ... بَيانٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ وَنُطْقُ[2]
وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أو حَيَاةٍ ... فإنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
ولِلأَوْطَانِ في دَمِ كُلِّ حُرٍّ ... يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ[3]
وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بالمنايا ... إذا الأحرارُ لم يُسْقَوا وَيَسْقُوا؟
ولا يَبْني المَمَالِكَ كالضَّحَايَا ... ولا يُدْني الحُقوقَ ولا يُحِقُّ
ففي القَتْلَى لأجْيَالٍ حَيَاةٌ ... وفي الأسْرى فِدًى لَهُمُ وَعِتْقُ[4]
وَلِلْحُرِّيَّةِ الحَمْراءِ بَابٌ ... بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ[5]

* * *

(١) قناها: رماحها. تسترقّ: تُستعبد.
(٢) إشارة إلى أنّ اللغة هي الجامع المشترك بين الدول العربيّة.
(٣) سلفت: سبقت.
(٤) عتق: حرّيّة.
(٥) مضرّجة: مصبوغة بالدماء.

إبراهيم ناجي

هو الشاعر المصري الطبيب ابراهيم ناجي أحمد (١٨٩٨م/١٣١٦هـ - ١٩٥٣م/ ١٣٧٢هـ). مولده ووفاته في القاهرة. له ثلاثة دواوين شعرية جُمِعَت فيما بعد في ديوان واحد، وهي: «ليالي القاهرة»، «وراء الغمام»، و«ديوان الطائر الجريح». وله أيضًا مؤلفات طبيَّة ونفسيَّة واجتماعية عدَّة، شعره عذب رقيق، أجمله في الغزل.

* * *

الأطلال[١]

«هذه قصة حب عاثر، التقيا وتحابا، ثم أنتهت القصَّة بأنها هي صارت أطلال جَسَد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تُسجِّل وقائعها كما حَدَثتْ».

يا فُؤادي، رَحِمَ اللهُ ٱلْهَوَى   كانَ صَرْحًا مِنْ خَيالٍ فَهَوى
اسْقِني وَٱشْرَبْ على أطْلالِهِ   وَٱرْوِ عَنّي، طالَما الدَّمْعُ رَوَى
كَيْفَ ذاكَ ٱلْحُبُّ أمسَى خَبَرًا   وَحَديثًا مِنْ أحادِيث ٱلْجَوَى

* * *

---

(١) هذه مقتطفات من القصيدة التي تجدها كاملةً في ديوانه.

لَسْتُ أَنْساكِ، وَقَدْ نادَيْتِني   بِفَمٍ عَذْبِ ٱلْمُناداةِ رَقيقْ
وَيَدٍ تَمْتَدُّ نَحْوي كَيَدٍ   مِنْ خِلالِ ٱلْمَوْجِ مُدَّت لِغَريقْ
وَبَريقٍ يَظْمَأُ السّاري لَهُ   أَيْنَ في عَيْنَيْكِ ذَيّاكَ ٱلْبَريقْ؟

* * *

ذَهَبَ ٱلْعُمْرُ هباءً، فَٱذْهَبي   لَمْ يَكُنْ وَعْدُكِ إلّا شَبَحا
أَنْظُري ضِحْكي وَرَقْصي فَرِحًا   وَأَنا أَحْمِلُ قَلْبًا ذُبِحا
وَيَراني الناسُ رُوحًا طائِرًا   وَٱلْجَوَى يَطحنُني طَحْنَ الرَّحى

* * *

أَيْنَ مِنْ عَيْني حبيبٌ سَاحِرٌ   فِيهِ نُبْلٌ وَجَلالٌ وَحَياءْ
واثِقُ ٱلْخُطْوَةِ يَمْشي مَلِكًا   ظالِمُ ٱلْحُسْنِ، شَهِيُّ ٱلْكِبْرِياءْ
عَبِقُ ٱلسِّحْرِ كَأَنْفاسِ الرُّبى   ساهِمُ الطَّرْفِ كَأَحْلامِ ٱلْمَسَاءْ
مُشْرِقُ ٱلطَّلْعَةِ، في مَنْطِقِهِ   لُغَةُ النُّورِ، وَتَعْبيرُ السَّماءْ

* * *

أَيْنَ مِنّي مَجْلِسٌ أَنْتِ بِهِ   فِتْنَةٌ تَمَّتْ سَناءً وَسَنَى
وَأَنا حُبٌّ وَقَلْبٌ وَدَمٌ   وَفَراشٌ حائِرٌ مِنْكِ دَنا
وَمِنَ الشَّوْقِ رَسولٌ بَيْنَنا   وَنَديمٌ قَدَّمَ ٱلْكَأْسَ لَنا
وَسَقانا، فَٱنْتَفَضْنا لَحْظَةً   لِغُبارٍ آدمِيٍّ مَسَّنا

* * *

يا حَبيبًا زُرْتُ يَوْمًا أَيْكَهُ   طائِرَ ٱلشَّوْقِ، أُغَنّي أَلَمي
لَكَ إِبْطاءُ المُدِلِّ ٱلْمُنْعِمِ   وَتَجَنّي ٱلْقادِرِ ٱلْمُحْتَكِمِ
وَحَنيني لك يَكْوي أَعْظُمي   وَالثَّواني جَمَراتٌ في دَمي
وَأَنا مُرْتَقِبٌ في مَوْضِعي   مُرْهَفُ ٱلسَّمْعِ لِوَقْعِ ٱلْقَدَمِ

* * *

أَعْطِني حُرِّيَّتي أَطْلِقْ يَدَيَّ   إنَّني أَعْطَيْتُ ما ٱسْتَبْقَيْتُ شَيَّ

آهِ مِنْ قَيْدِكَ أَدْمى مِعْصَمِي   لِمَ أُبْقِيهِ، وَما أَبْقَى عَلَيَّ

ما ٱحْتِفاظي بِعُهودٍ لَمْ تَصُنْها   وَإلامَ ٱلأَسْرُ، وَالدُّنْيا لَدَيّ

* * *

يا حَبيبي، كُلُّ شَيْءٍ بِقَضاءْ   ما بِأَيْدِينا خُلِقْنا تُعَساءْ

رُبَّما تَجْمَعُنا أَقْدارُنا   ذاتَ يَوْمٍ بَعْدَما عَزَّ اللِّقاءْ

فإذا أَنْكَرَ خِلٌّ خِلَّهُ   وَتَلاقَيْنا لِقاءَ ٱلْغُرَباءْ

وَمَضَى كُلٌّ إلى غايَتِهِ   لا تَقُلْ: شِئْنا، وَقُلْ لِي ٱلْحَظُّ شاءْ

* * *

إيليّا أبو ماضي

هو إيليّا بن ضاهر أبو ماضي (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) أحد كبار شعراء المهجر، ومن أعضاء الرابطة القلميّة فيه. ولد في قرية «المحيدثة» بلبنان، وسكن الإسكندريّة، وهاجر إلى أميركا. أصدر جريدة «السمير». له «تذكار الماضي»، و«الجداول» و«الخمائل».

ومن قصائده الوطنيّة الرائعة نثبت القصيدتين التاليتين:

* * *

لُبنان

اثنانِ أعيا الدهرَ أن يبليهما ... لبنانُ والأملُ الذي لذويهِ

نَشْتاقهُ والصَّيفُ فوقَ هضابِهِ ... ونُحبُّهُ والثلجُ في واديهِ

وإذا تَمُدُّ لَهُ ذكاءُ حبالها ... بقلائدِ العُقيانِ تَسْتَغْويه

وإذا تُنَقِّطُهُ السماءُ عَشِيَّةً ... بالأَنْجُمِ الزُّهْراءِ تَسْتَرْضِيهِ

وإذا الصَّبايا في الحقولِ كَزَهْرِها ... يَضْحَكْنَ ضِحْكًا لا تَكَلُّفَ فيه

هنّ اللواتي قد خَلَقْنَ لي الهوى ... وَسَقَيْنني السِّحْرَ الذي أسقيهِ

هذا الذي صانَ الشبابَ من البلى ... وأبَى على الأيّامِ أنْ تطويهِ

*

ولربّما جَبَلٌ أُشَبِّهُهُ بِهِ ... مُسْتَرْسِلًا مَعَ رَوْعَةِ التشبيهِ

فَأقولُ يحكيهِ، وأعلَمُ أنَّهُ   مَهما سَما هَيهاتِ أنْ يحكيهِ
يا لَذَّةً مَكْذوبَةً يَلْهو بها   قلبي ويَعْرِفُ أنَّها تُؤذيهِ
إنّي أُذَكِّرُه بذيّاكَ الحِمى   وَجَمالِهِ وإخالُني أُنسيهِ
وإذا الحقائِقُ أَحْرَجَتْ صَدْرَ الفَتى   أَلْقى مقالِدَهُ إلى التَّمويهِ
وَطَني سَتَبْقَى الأَرْضُ عندي كُلُّها -   - حتى أعودَ إليه - أرضَ التيهِ
سألوا الجمالَ فقال: هذا هيكلي   والشِعرَ قال: بنيتُ عَرْشي فيهِ

*

الأَرْضُ تَسْتَجْدي الخضمَّ مِياهَه   وكُنوزَهُ والبحرُ يَسْتَجْديهِ
يُمْسي وَيُصْبحُ وهو منطرحٌ على   أقدامِهِ طَمَعًا بما يَحْويهِ
أعطاهُ بعضَ وقارِهِ حتى إذا   استجداه ثانيةً سخا ببنيهِ
لبنان صُنْ كنز العزائمِ واقْتَصِدْ   أَخْشَى مع الإسرافِ أن تفنيهِ

*

غيري يراه سياسةً وطوائفًا   ويظلُّ يَزْعَمُ أنَّهُ رائيهِ
ويروح من إشفاقِهِ يبكي له   لبنانُ أنت أَحَقُّ أَنْ تبكيهِ
قُلْ للأُلى رَفَعوا التخومَ لأرضِهِ   ضَيَّقْتُمُ الدنيا على أهليهِ
ولمن يقولون: الفرنجُ حماتهُ   الله قبل سيوفِهم حاميهِ

* * *

وطنَ النجوم

وَطَنَ النُّجُوم أنا هُنَا ... حَدِّقْ أتَذْكُرُ مَنْ أنَا؟
أَلَمَحْتَ في الماضي البَعِيد ... فَتًى غَرِيرًا أرْعَنَا؟
جذْلانَ يَمْرَحُ في حُقُولِكَ ... كالنَّسِيم مُدَنْدِنا
يَتَسَلَّقُ الأشْجَار لا ضَجَرًا ... يُحِسُّ ولا وَنَى
وَيَعُودُ بالأغْصانِ يَبْرِيها ... سُيُوفًا أو قَنَا
وَيَخُوضُ في وَحْلِ الشِّتَا ... مُهَلِّلاً مُتَيَمِّنا
لا يتَّقي شَرَّ العُيُونِ ... ولا يَخَاف الألْسُنا
وَلَكَمْ تَشَيْطَنَ كي يَدُورَ ... القَوْلُ عَنْهُ تَشَيْطَنَا
أنا ذٰلِكَ الوَلَدُ الذي ... دُنْيَاهُ كانَتْ هَاهُنَا
أنا مِنْ مِيَاهِكَ قَطْرَةٌ ... فاضَتْ جَدَاوِلَ مِنْ سَنَا
أنا مِنْ تُرَابِكَ ذَرَّةٌ ... ماجَتْ مَوَاكِبَ مِنْ مُنَى
أنا مِن طُيُورِكَ بُلْبُلٌ ... غَنَّى بِمَجْدِكَ فَأغْتَنَى
حَمَلَ الطَّلاقَةَ والبَشاشَةَ ... مِنْ رُبُوعِكَ للدُّنَى
كم عانَقَتْ رُوحي رُباكَ ... وَصَفَّقَتْ في المنْحَنَى؟
لِلأرْزِ يَهْزَأُ بالرِّياحِ ... وبالدُّهُورِ وبالفَنَا
لِلْبَحْرِ فيكَ مُصَلِّيًا ... لِلصُّبْحِ فيكَ مُؤَذِّنا
للشَّمْسِ تُبطِئُ في وَدَاعِ ... ذُراكَ كَيلا تحْزَنَا
لِلْبَذْرِ في نيسانَ يَكْحَلُ ... بالضِّياءِ الأعْيُنا
فَيَذُوبُ في حَدَقِ المَهَى ... سِحْرًا لطيفًا لَيِّنا
لِلْحَقْلِ يَرْتَجِلُ الرَّوَائِعَ ... زَنْبَقًا أو سَوْسَنا
لِلْعُشْبِ أثْقَلَهُ النَّدى ... لِلْغُصْنِ أثْقَلَه الجَنَى
عاشَ الجمالُ مُشَرَّدًا ... في الأرْضِ يَنْشُدُ مَسْكَنا

حتّى انْكَشَفَتَ لَهُ فَألْقَى رَحْلَهُ وَتَوَطّنا
واسْتَعْرَضَ الفَنُّ الجمالَ فَكُنْتَ أنْتَ الأحْسَنا

* * *

الدكتورة مي حنا سعادة

أديبة لبنانيّة، وُلِدَت في أميون (لبنان الشمالي) سنة ١٩١٦م، ونالت شهادة التخصّص بأمراض النساء والتوليد سنة ١٩٤٢م. مارست، ولا تزال، الطبّ والجراحة النسائيّة في طرابلس. لها ديوان شعريّ بعنوان «أوراق العمر».

لُقِّبتْ، بحَقّ، شاعرة الأمومة في الأدب العربيّ، نظرًا إلى قصائدها الرائعة التي قالتها في أبنائها، وخاصّة في ولدها الشهيد «نقولا» الذي استُشْهد في الحرب اللبنانية (١٩٧٥م). تقول في إحدى قصائدها لابنها «حنّا»:

لو عَلَى عَيْني بِنَعْلَيْهِ مَشى   لَمْ أَقُلْ يومًا لَهُ: يا ابني تَأَنَّى

يمتاز رثاؤها لابنها «نقولا» باللّوعة الحارّة، والعاطفة المتدَفّقة، فهي تتمثّل ابنها أبدًا، وتخاطبه، وتصوّره بحبّ أموميّ يفوق، في صدقه والتياعه كلّ وصف. وفيما يلي بعض النماذج منه:

* * *

من قال غاب؟

طال البعادُ أَما قَدْ حان لُقْيانا   أَيا نقولا، فإِنَّ البُعْدَ أَوْهانا

إِنْ كُنتُ أَبدو أَمامَ النَّاسِ هَادِئَةً   في قلب أُمِّكَ قَدْ فَجَّرْتَ بركانا

مَنْ قالَ: قَدْ غابَ؟ كَلاّ لم يغبْ أبدًا   أَراهُ في مُقْلَةِ الإنسانِ إنسانا

أَرَاهُ في كُلِّ قَوْميٍّ غدا بَطلاً   أراهُ في وَطَنِ الأحْقَادِ قُرْبانا

أراهُ في الطِّبِّ في كُتْبي على شَفَتي   أَراهُ في زهراتِ الوَرْدِ أَلوانا

أراهُ في الطَّيرِ في الأشجار باسِقَةً   أَراهُ في نَسَماتِ الفَجْرِ أَلْحانا

أراهُ حَوليَ في رِفْقٍ.... يُداعِبُني   وفي سَريريَ عنْدَ الصُّبْحِ أَحيانا

يُسِرُّ لِلأُمِّ شَكْواهُ بلا وَجَلٍ   دَومًا، وَيَشْرَحُ إشكالًا وأَشْجانا

إنّي سَأَدْعو ابْنَتي «ميّا» - يُفاجِئُني -   حُبًّا وَمَكْرَمَةً مِنّي وعرفانا!

إنَّ الخُلودَ، أيا ابني، ليسَ يَشغَلُني   رَضيتُ فيكُمْ، وكانَ القَلْبُ مَلآنا

شُكْرًا حبيبي لَقَدْ أَعْطَيْتَنا بَطلاً   بهِ نَتيهُ، وَقَدْ رَفَّعْتَنا شانا

هَلْ قَدْ تَرَكْتُك يومًا؟ كيف تَتْرُكُني   ثكلى لأَنسجَ للأيّام أَحْزانا؟

أَصفُّ حَوْلَكَ وَرْدًا كنتَ تَعْشَقُهُ   وَأَقْرَأُ الكُتْبَ إنجيلاً وَقُرْآنا

كَمْ قَدْ طَلَبْتُ وكَم صَلَّيتُ جاثيةً   لِيَحْمِيَ اللهُ أَبطالًا وشجعانا

مضى شهيدًا فَلِمْ أَبكي عليه؟ لَقَدْ   رَدَّ الوديعةَ لمّا الوقتُ قَدْ حانا

قد كان يملأُ «أميونًا» ببهجته   واليوم يملأُ كلَّ الكونِ إيمانا

* * *

نقولا فيّاض

شاعر وخطيب وطبيب، وُلد في بيروت سنة ١٨٧٨. تلقّى علومه في معهد «الثلاثة أقمار»، ثم تخرّج في مدرسة الطبّ الفرنسيّة. وأقام في الإسكندريّة طبيبًا مدة عشرين سنة. ثم انتقل إلى بيروت، وعيّن عضوًا في المجلس النيابي سنة ١٩٣٠، وكان مديرًا للبريد والبرق مدة أربع سنوات. وعرف بمواقفه الخطابيّة. توفي سنة ١٩٥٨. تاركًا وراءه مؤلفات أهمها: «على المنبر» و«رفيق الأقحوان»، و«الخطابة». ترجم شعرًا إلى العربيّة قصيدة لامرتين الخالدة «البحيرة»، ولامرتين هو ألفونس دو لامرتين شاعر فرنسي، ولد في «ماسون» سنة ١٧٩٠. تلقّى علومه في معهد اليسوعيين. تأثّر بشاتو بريان. وهاجر إلى إيطاليا، ثمّ إلى الشرق ثم عاد إلى فرنسا وكان عضوًا في الأكاديميّة الفرنسيّة. توفي سنة ١٨٦٩ تاركًا «تأمّلات شعريّة»، و«جوسلين»، و«كرازييلا».

* * *

البحيرة

أهكذا تَنْقَضي دَوْمًا أمانينا — نطوي الحياةَ وليلُ الموتِ يطوينا[1]

تجري بنا سفُنُ الأعمارِ ماخرةً — بَحْرَ الوجودِ ولا نُلقي مراسينا

بُحَيْرةَ الحبِّ حيّاكِ الحيا فَلَكَمْ — كانتْ مِيَاهُكِ بالنجوى تحيينا[2]

قد كنتُ أرجو ختامَ العامِ يجمعُنا — واليومَ للدَّهْرِ لا يُرجى تلاقينا

فجِئْتُ أجلسُ وَحْدي حيثما أخذَتْ — عنّي الحبيبةُ آيَ الحبِّ تلقينا[3]

هذا أنينُكِ ما بدّلْتِ نَغْمَتَهُ — وطالَ ما حُمِّلَتْ فيه أغانينا

وفوقَ شاطئِك الأمواجُ ما بَرِحَتْ — تُلاطمُ الصخرَ حينًا وَاْلْهَوَا حينا

وتحت أقدامِها يا طالَ ما طَرَحَتْ — من رغوةِ الماءِ كفُّ الريحِ تأمينا[4]

هل تَذْكُرين مساءً فوق مائكِ إذْ — يَجْري ونحن سكوتٌ في تصابينا[5]

والبرُّ والبحر والأفلاكُ مُصْغيةٌ — معنا فلا شيء يُلْهيها ويُلْهينا

إلّا المجاذيفَ بالأمواجِ ضاربةً — يَخالُ إيقاعَها العُشّاقُ تَلْحينا

إذا برنَّةِ أنغامٍ سُحِرْتُ بها — فَخِلْتُ أنّ الملا الأعْلَى يُناجينا[6]

والموجُ أصْغَى لِمَنْ أهْوَى وقد تَرَكَتْ — بهذه الكلماتِ الموجَ مَفْتُونا[7]

«يا دهرُ قِفْ فحرامٌ أنْ تطيرَ بنا — مِنْ قَبْلِ أنْ نَتَمَلّى مِنْ أمانينا»

ويا زمانَ الصِّبا دَعْنا على مَهَلٍ — نَلْتَذُّ بالحبِّ في أحْلَى ليالينا

---

(١) نطوي: نميت، يقال: طوى الله عمره: أماته.

(٢) الحيا: المطر، الخصب.

(٣) آي: ج آية، وهي علامة.

(٤) رغوة الماء: زبده.

(٥) التصابي: الميل إلى اللهو.

(٦) الملا الأعلى: عالم الأرواح.

(٧) أهوى: أحبّ. مفتونًا: مندهشًا، منجذبًا.

أجِبْ دُعَاءَ بَني البؤسَى بأرضِكَ ذي — وطِرْ بهم فَهُمْ في العَيْشِ يَشْقُونا[1]

خذِ الشقيَّ وخُذْ مَعْهُ تَعَاسَتَهُ — وَخَلِّنا فَهَناءُ الحُبِّ يكفينا

هيهاتِ هيهاتِ أنّ الدهر يَسْمعُ لي — فالوقتُ يُفْلِتُ والساعاتُ تُفْنينا

أقولُ لِلّيلِ قِفْ والفجرُ يَطْرُدُهُ — ممزّقًا منه سِترًا بات يُخْفينا

فَلْنَغْنَمِ الحُبَّ ما دام الزمان بنا — يَجْري ولا وَقْفَةٌ فيه تُعَزِّينا

ما دامَ في البؤسِ والنُّعْمَى تَصَرُّفُه — إلى الزوالِ فَيَبْلَى وَهْوَ يُبْلينا

تاللهِ يا ظلمةَ الماضي وَيَا عَدَمًا — في لَيْلِهِ الأبديِّ الدهرُ يَرْمينا

ما زالَ لُجُكِ لِلأيّام مُبْتَلِعًا — فما الذي أنتِ بالأيّام تُجرينا

ناشَدْتُكِ اللهَ قولي وأرْحَمي وَلَهي — أَتُرْجِعينَ لنا أحْلامَ ماضينا[2]

* * *

(١) بنو البؤسى: الأشقياء.

(٢) الوله: التحيّر من شدّه الحبّ.

بولس سلامة

هو شاعر الألم وأيّوب القرن العشرين، وُلد في بيت الدين اللّقش من أعمال لبنان سنة ١٩٠٢. كان أبوه يعمل بتجارة بزر الحرير والفيالج. تلقّى دروسه الأولى في مدرسة القرية البدائيّة، ثم انتقل إلى صيدا حيث دخل مدرسة الأخوّة المريميين (الفرير)، وذلك سنة ١٩١٣. وما أن انقضت السنة الدراسيّة حتى وقعت الحرب الكونيّة الأولى، فعاد إلى قريته، وراح يساعد أباه في أعماله. وبعد انتهاء الحرب دخل مدرسة «الحكمة». ومن ثمّ علّم فيها ثلاث سنوات. وفي سنة ١٩٢٦ تخرّج في معهد الحقوق، وتدرّج في المحاماة. وفي سنة ١٩٢٨ نقل من قوس المحاماة إلى القضاء، فعيّن حاكمًا صلحيًا في عاليه. أُحيل على التقاعد سنة ١٩٤٤ بسبب الداء الذي سمّره على فراش الألم أعوامًا. أُجريت له أربع وعشرون عمليّة، كما فصّل ذلك في كتابه: «مذكرات جريح».

* * *

ألم

داءٌ تـخلّلَ في العظام فردّها فـلـذًا وأشـلاءً عـلـى أشـلاءِ[1]

(١) الفلذ: ج الفلذة، وهي القطعة. الأشلاء: ج الشلو، وهو البقيّة.

سالتْ على حدّ المباضع مهجتي — فشفارها مصبوغةٌ بدمائي[1]
وتشابهت منّي الجراحُ فأصبحتْ — حفرًا تضلُّ بها عُيونُ الرائي
وتشيعُ بي حُمّى تهدُّ مفاصلي — وتدبُّ مثلَ الحيّةِ الرقطاءِ[2]
فأغيبُ في الكابوسِ غيبةَ سابحٍ — في النارِ بين الحسِّ والإغماءِ[3]
ويحَ السفينة في الخضمّ شريدةً — فكأنّها مُنِعَتْ من الإرساءِ
كأسي على الألمِ الدويّ شربتها — ممزوجةً بمرارةٍ ودماءِ
لم يبق للندمانِ بَعْدِي قطرةٌ — بالدّنِّ في خمّارةِ الأرزاءِ[4]
صُبْحي أمرُّ من المساءِ فعيشتي — موصولةُ الظلماءِ بالظلماءِ
أوّاهُ لو كان الرقادُ يزورُني — لرضيتُ من دنياي بالإغفاءِ
لا يلتقي جفنايَ إلّا خلسةً — فكأنّ بينهما قديمَ عداءِ
ألمي يشقُّ على الخيال لحاقُهُ — فيتيهُ بين البحر والصحراءِ[5]
هو كلّ آهات العصور تجمّعَتْ — مرويّةً بمدامعِ الشهداءِ
أيّوبُ مَنْ أيّوبُ؟ ماذا خطبُهُ — هو قطرةٌ وأنا خضمُّ بلاءِ[6]
فإذا مَرَرْتَ على الجريحِ تعودُهُ — فلقد أتيتَ مدافنَ الأحياءِ[7]
صَحْبي وهل في الصحب إلّا قلّةٌ — حَفِظَتْ على دُهْمِ الخطوبِ ولائي[8]
قد كنتُ أفديهم بأهلي جملةً — وبمهجتي لو كان يومُ فداءِ[9]

(١) المباضع: ج المبضع، وهو آلة لشقّ الجلد ونحوه.
(٢) الرقطاء: المنقّطة بنقط سوداء وبيضاء.
(٣) الكابوس: ما يزعج الإنسان في نومه.
(٤) الندمان: ج النديم، وهو الجليس على الشراب. الدن: إناء للخمر. الأرزاء: المصائب.
(٥) يتيه: يضلّ ويضيع.
(٦) خطبه: مصيبته. الخضم: البحر. البلاء: المصائب.
(٧) تعوده: تزوره.
(٨) الدهم: ج الأدهم، وهو الأسود.
(٩) المهجة: النفس.

فإذا بهم والخطبُ حلّ بساحتي لا يذكرون على الزمان وفائي[١]
غاض الوفاءُ من الصدورِ فَظِلُّهُ في الناسِ ظلُّ الجودِ في البخلاءِ[٢]

* * *

وحده

سَوْطُ العَذابِ أطالَ سُهدَه فَرَثَتْ لأنَّتهِ المِخَدَّه[٣]
أنّاتُه الحمراءُ جاريةٌ مَعَ الأنفاسِ وَقْدَه
لَزِمَ الوِسَادةَ عُمرَه ما أطولَ الأعوامَ رقدَه![٤]
بَرِمَ السريرُ بعَاشقٍ أعيَا الأساةَ فلن تصُدَّه[٥]
لا الليلُ زحزحهُ ولا وَضَحُ النهارِ أزالَ وَجْدَه
زَفَرَ الحديدُ ولا مَلامةَ فالحديدُ أطاقَ جُهدَه

* * *

يا ساجيًا أكلَ الفراشُ ضُلُوعَه وامتصَّ جلْدَه[٦]
يا برمكيًّا ضافَهُ شخصُ العذابِ فقرَّ عندَه[٧]
عجبًا أكنتَ حفيدَهُ أم كنت والِدَه وجدَّه
بوَّأتَهُ القِمَمَ العُلى وعلى العصورِ رفعتَ بَندَه[٨]

---

(١) حلّ بساحتي: أي أصابني.
(٢) غاض: غار.
(٣) السهد: السهر. الأنّة: الآه.
(٤) الوسادة: المخدّة.
(٥) برم: ملّ. الأساة: ج الآسي، وهو الطبيب. أعيا: أعجز.
(٦) الساجي: هنا، النائم.
(٧) قرّ عنده: سكن عنده.
(٨) بوّأته: أنزلته. القمم العلى: المراتب العالية. البند: الراية.

مـا آهَــةٌ فــي الأرضِ إلّا مــنْ مَـعـيـنِـك مُـسـتَـمِـدُّه

* * *

أيُّـوبُ أعْـوزَهُ الـخـلـودُ فـجـاءَ مـنـك يـرومُ خـلْـدَه[1]
ثـأرَ الـزمـانُ مـن الـورى وعليك وحدَك صبَّ حقدَه[2]

* * *

ظَـفِـرَتْ يـداكَ مـنَ الـوجـودِ بـشَـوكـهِ وأضـعْـتَ وردَه
شـوكٌ أحَـدَّتـهُ الـمـبـاضـع فـي الـعـظـام فـمـا أحَـدَّه
كـم صـدَّ عـنـك مُـخـاتِـلٌ هَـزْلُ الـزمـان أجـدَّ سـعـدَه[3]
قد كان يُكبر منك تسليمًا فـيَـبْـشـريـهِ بـسَـجـدَه
فـإذا بـه، والـجـاهُ أبـطَـرهُ يُـصـعِّـر عـنـك خَـدَّه[4]
رَضِـعَ الـخـسـاسـةَ مـنـذُ مـا صـدرُ الـلـئـيـمـة فـضَّ نـهـدَه
الـعـارُ شـدَّ قِـمـاطَـه والـفـاجِـراتُ بَـسَـطـنَ مـهـده[5]
والـدهـرُ إن يَـهـزِلْ تـسُـدْ عرشَ الـنُّـهـى والـحُـسـنِ قِـردَه

* * *

وصَـرفـتَ مَـذمَـعَـكَ الأنـوفَ بـبـسـمـةٍ فَـأَتَـيْـتَ ضِـدَّه
ضَـنًّـا بـوجـهـك أن تـصـعِّـرَهُ الـدمـوعُ وأن تُـخِـدَّه[6]
عَـافَ الـدنـاءةَ سـيِّـدٌ جـعـل الـزمـانُ الـوغـدَ عـبـدَه

---

(١) يروم: يطلب.

(٢) الورى: الناس.

(٣) المخاتل: المخادع.

(٤) البطر: التكبّر لدى النعمة. صعّر خدّه: تكبّر.

(٥) القماط: خرقة عريضة تُلف على المولود الصغير. المهد: السرير.

(٦) خدّ الشيء: أثّر فيه.

يُودي الكريمُ من الطوى ويُورِّثُ الأجيالَ مجدَه[1]
عِشْتَ الغريبَ سماحةً ومروءةً، وعُرى موده
وأشدُّ آلام التغرُّبِ جَهْلُ منزلةٍ وشده
جارُ الحسام قِرابُه والغِمدُ يجهل منه حَدّه[2]
بصميمِه الوشيُ المنمنمُ وهو لا يدري فِرنْده[3]
بين الشهيدِ وأهلِه من شاسع الأبعاد وهدَه
جَلَدٌ تجوزُ به العيون وتجهل الأحداقُ بُعْده
والسهلُ إن جاز المدى تتجاهَلُ الأبصارُ نَجْده
ولكانَ يُسْعِدُكَ الثواءُ بموطنٍ حَلَّيْتَ بُرده[4]
لو كان يَكْتَنِفُ الشذا في عصفة الأرياح بلده

* * *

كيف السبيل لِغَفْوَةٍ والهمُّ ساقَ إليك وفدَه
لَيلُ المريضِ وهل له في العمر، أو في الوقت مُدّه
لَيلٌ يضلُّ به الزمان فليس يَعْلَمُ منه قصدَه
أبدٌ تحوك نسيجَه كفُّ السهادِ المستبدّه
يخلو من الطَّيْفِ الأنيس وليتَ للأطياف ردَّه
ولكان يقنع بالمنام فتًى يرى الأحلامَ جندَه
أفلَ الشبابُ وطيبُه أوّاه لو سَدَّت مسدَّه
للصخرِ عيدُ شبابِه وحُرمتَ بهجتَهُ ورَغْده

---

(١) يودي: يهلك. الطوى: الجوع.

(٢) الحسام: السيف. القراب: الغمد، بيت السيف.

(٣) الوشي المنمنم: المزيّن. الفرند: السيف.

(٤) الثواء: الإقامة.

بَـهَـظَ الـغـطـاءُ رفـيـقَـهُ وأمَـضَّ كـاهِـلَـه وزنـده[١]
قد كـان بالأمس الـمـحجَّـل لـو هـوى جـبـلٌ لـصَـدَّه
أتـرى الـلـحـافَ غـطـاءَه أم بـاتَ هـذا السِـترُ لـحـدَه
كـم مـرَّةٍ طـلـبَ الـحِـمـامَ يَـعُـوده فـيـبـتُّ عـقـدَه[٢]
عِـشـريـنَ وعـدًا بَـثَّـهـا الأجـلُ الـكـذوبُ وحلَّ وعـدَه
بَـرْقٌ خـلـوبٌ يـحـصـد القَلِقُ الكسيرُ القلب رعدَه[٣]

* * *

يا مـوتُ، يـا مـلـك السـخـا رحـمـاكَ لـو عـجَّـلـت فـقـده
عـجـبًـا لـكـفِّـكَ، وهـيَ دأمـاءُ الـعَـطـاءِ تـصـيـر جـعـده[٤]
ولـكـنـت أشـفـقَ راحـم لـو في المنام سلبتَ رشدَه
مـا هَـدَّه عـمـقُ الـجـراحـة بـل دفـيـقُ الـوعـي هَـدَّه

* * *

يـا أيّـهـا الـدانـي وقـد تـسـتـوحـشُ الآفـاقُ بَـعـده
وإذا مـضـى أرَجُ الـربـيـع تـرَقَّـبُ الـنـسـمـاتُ رِنـده
والـذكـريـاتُ إذا نـشـدنَ الـخـيِّـريـن ذكـرنَ رِفـده[٥]
عـجـبًـا أيـذكُـرُهُ الـزمـان وتـخـفـر الأصـحـابُ عـهـده
تـتـأوَّه الـعـظـمـات إمَّـا تـذكـر الـعـظـمـات ودَّه
فـتـقـولُ يـا عـلَـمَ الـمـروءَةِ ويـحَ بـؤسـك مـا أشـدَّه!
مـاتَ الـمـعـذَّبُ وَحْـدَهُ أتـراهُ عـاشَ الـعـمـرَ وَحْـدَه؟

---

(١) أمضّ: أوجع. الكاهل: مقدّم أعلى الظهر ممّا يلي العنق.
(٢) الحمام: الموت.
(٣) برق خلوب: السحاب الذي يلمع برقه ولا مطر فيه.
(٤) الدأماء: البحر.
(٥) الرفد: العطاء.

صلاة

يا مَليكَ الحياةِ أنْزِلْ عَلَيّا عَزْمةً مِنْكَ تَبْعَثُ الصَّخْرَ حَيّا

جُودُ كَفَّيكَ، إنْ تَشَأْ، يملأُ العيشَ نماءً ويفرش الجدبَ فيّا

واهِبَ النورِ والنَّدَى للروابي أَوْلِني مِنْ جمالِ وَجْهِكَ شَيّا

طالَ في منْقَعِ العذابِ مقامي واستراحَ الشقاءُ في مُقْلتيّا

فنسيتُ النّهارَ مِنْ طُولِ لَيلي أترى اللَّيلَ شرعكَ الأبدِيّا

إنّ حَظِّي مِنَ الحياةِ سريرٌ سرتُ مِنْهُ فلمْ يَعُدْ خشَبيّا

كلُّ هذي الدُّنى طليقةُ أَضْحَتْ وَيحَ حَظِّي! أضْحَتْ حرامًا عليّا

أتَلَوّى على الجراحِ صباحًا ويفُتُّ الناسورُ عَظْمي عَشيّا

فتَعَجَّبْ لسابحٍ في جحيمٍ صاغَهُ الخطْبُ زورقًا بشريّا

* * *



الباب الثامن:

متفرّقات



يوم مولدي

عُدْتَ يا يَوْم مولدي

عدت يا أيّها الشقي

الصّبا ضاعَ من يدي

وغزا الشّيْبُ مفرقي

ليتَ - يا يومَ مولدي

كنتَ يومًا بلا غد!!

* * *

لَيْتَ أني - من الأَزَل

لم أعِش هذه الحياة

عشتُ فيها ولم أزَل

جاهلًا أنها حياة!!

ليتَ أني من الأزل

كنتُ روحًا

ولم أزل!!

* * *

أنا عُمْرٌ بلا شباب

وحياةٌ بلا ربيع

أشتري الحب

بالعذاب!!

اشتريه

فَمَنْ يبيع؟؟!

* * *

عريتُ منَ الشبابِ وكنتُ غُصْنًا كما يَعْرى منَ الورقِ القَضيبُ

ونحتُ على الشبابِ بدمْعِ عيني فما نفَعَ البكاءُ ولا النحيبُ

فيا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا لأخبرَه بما فعلَ المشيبُ

أبو العلاء المعري

* * *

وَهَتْ[1] عَزَماتُكَ عندَ المشيبِ وما كانَ من حقّها أن تَهي

وأنكرْتَ نفسَكَ لمّا رَأَيْتَ فلا هيَ أَنْتَ ولا أنتَ هي

إذا ذُكِرَتْ شَهَواتُ النُّفوسِ فلا تشْتَهي سوى أنْ تشتهي

؟ ؟ ؟

* * *

(١) وهت: هزلت، ضعفت.

فهرس المحتويات



سلسلة «أروع ما قيل»

أروع ما قيل في الاجتماعيات

أروع ما قيل في الإخوانيات

أروع ما قيل في الحب والغزل

أروع ما قيل في الحكمة

أروع ما قيل في الخمرة ومجالسها

أروع ما قيل في الرثاء

أروع ما قيل في الزهد والتصوف

أروع ما قيل في الزواج

أروع ما قيل في الفخر والحماسة

أروع ما قيل في المديح

أروع ما قيل في المرأة

أروع ما قيل في الموت

أروع ما قيل في الهجاء

أروع ما قيل في الوجدانيات

أروع ما قيل في الوصف

أروع ما قيل في الوطنيات

أروع ما قيل من الأدعية

أروع ما قيل من أغان وأشعار للأطفال

أروع ما قيل من الأمثال

أروع ما قيل من الحكايات ٢/١

أروع ما قيل من الخطب

أروع ما قيل من الرباعيات

أروع ما "كتب "من الرسائل

أروع ما قيل من الطرائف

أروع ما قيل من قصص العشاق ٢/١

أروع ما قيل من الموشحات

أروع ما قيل من النوادر

أروع ما قيل من الوصايا